كشاة سيق الى الذبح

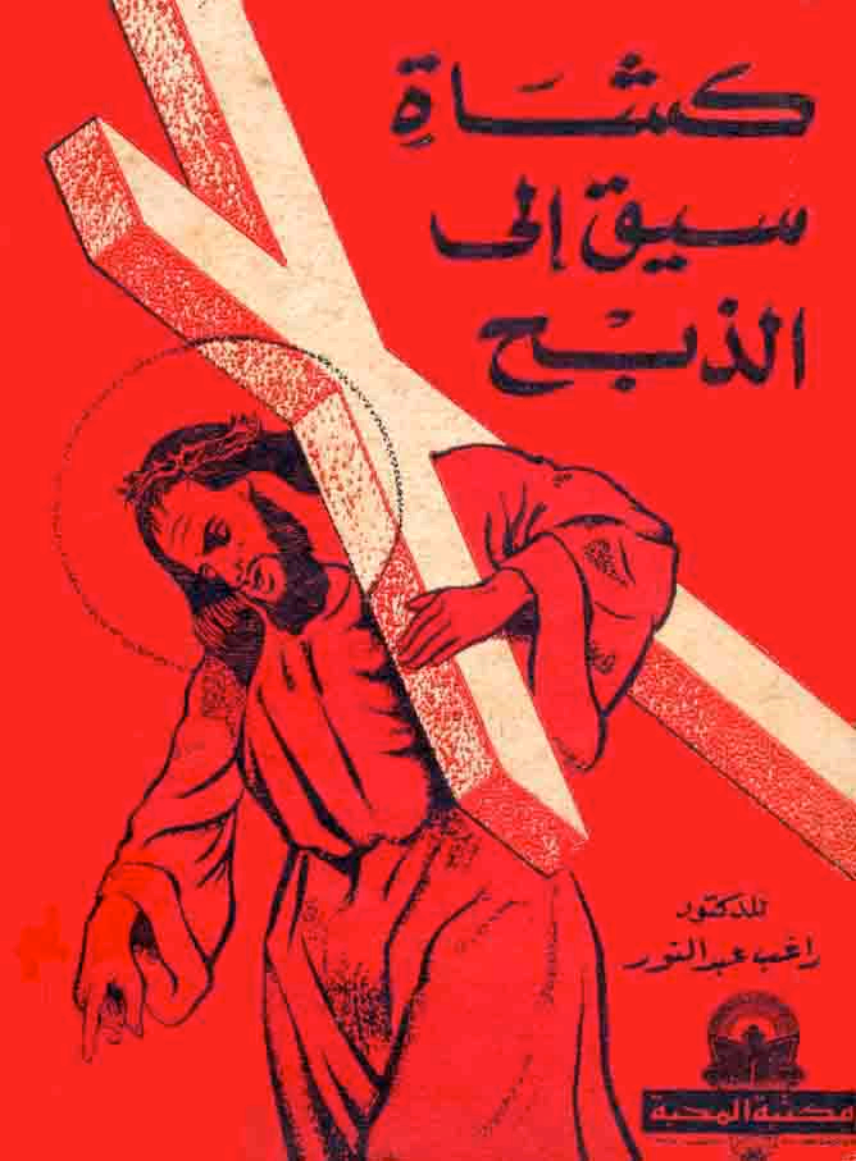

للدكتور
راغب عبد النور

مكتبة المحبة

كشاة سيق إلى الذبح

دكتور راغب عبد النور

١٦٨٦ ش - ١٩٧٠ م

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون ٩٠٥٢٩٦

فهرس الكتاب

صفحة

١ ــ عرش وحب ٧

٢ ــ فى البستان ١٣

٣ ــ متهم وقضاة ٢٧

٤ ــ صليب قبل الصليب ٤٥

٥ ــ على الصليب ٥٣

٦ ــ اللحظات الأخيرة ٧١

٧ ــ ونكس الرأس ٨٣

- ١ -

عـــرش و حـــب

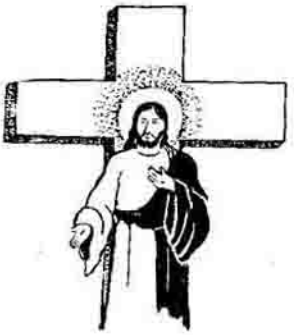

عرش وحب

أكثر من اسم يطلق على صليب ربنا . يناسبه ، ويدل على معانيه .

هو المذبح ، لانه عليه قدم ابن الله ، ذبيحة وافية لجميع المطاليب . وهو أيضا سلم يعقوب ، وعن طريقه نزل الرب المدرج واخلى نفسه ، ولبس جسدا وصار فى الهيئة كانسان ، واتصل الاله بالانسان ، وغدا ابنا للانسان . وهو ايضا كاس الالم والعار والدينونة ، حين انصبت جامات العدالة واستحقاق البشرية كلها فى الدينونة الابدية ، على وسيط البشرية ، ونائبهم ، ربنا يسوع المسيح .

وبالاضافة الى ذلك ، فهو العرش الذى ارتفع الرب سلمه ليملك الى الأبد فى السماء وعلى الأرض .. والصليب هو واسطة اعلان ملكوت ملك الملوك ورب الأرباب .. ولكن نتلامس مع هذه الحقيقة ، ونتعرف الى اعلانها الصادق ، حرى بنا فى هذا المقام ان نراجع ما كتبه الوحى فى سفر النشيد (الملك سليمان عمل لنفسه تختا من خشب لبنان . عمل اعمدته فضة وروافده ذهبا ومقعده ارجوانا ووسطه مرصوفا محبة من بنات اورشليم . اخرجن يا بنات صهيون وانظرن الملك سليمان بالتاج الذى توجته به امه فى يوم فرح قلبه) (نش ٣ : ٩ — ١١) .

ومن خلال هذه السطور نرى أن الصليب هو عرش ابدى ، وموضوع فرح الرب وبهجة قلبه ، وهـذا هو الجانب السرى البهيج من جوانب الصليب .

الصليب الم وبذل وعار . ثم موت ودفن فى القبر .. لـكن هـذا ليس كل شىء عن الصليب . لا ننسى ان الرب ملك على خشبة . بمعنى أن الصليب غدا عرشا للرب . اليه انجذب بكل عواطفه وحبه . واحتل الرب مكانه على الصليب بالفرح وسرور القلب ، من غير اكراه او الزام او تذمر ، او رغبة فى التنازل عنه ، رغم كثرة التكاليف . ولهذا العـرش اجتمعت ميزات الديمومة والاستمرار . بجانب قدرات الله الذى ظهر فى الجسد ، وبجانب كمالات ربنا يسوع المسيح .

الى هذا الصليب او العرش ، انجذبنا ، لقد قيدنا صليب ربنا الى حب ابن الله على نحو يفوق الاستجابة الطبيعية للحب . ومع اننا لا نستطيع ان نحب ابن الله بنفس القدر والنوع الذى احبنا به ، لكننا لا نملك الا ان نحبه حبا فوق قدراتنا وباقصى اتساعنا للحب المتفعل ... لأنه احبنا اولا .. فمبارك هذا العرش الذى ربطنا الى ملكنا الجالس عليه . وارتبطنا بالرب رعية له ، ونحن فى منتهى الحرية والتعقل ، اخترنا ان نكون ضمن هذه الرعوية . يوم الصليب اذا هو يوم عرس الرب وفرح قلبه .

احداث الجلجثة يوم الجمعة العظيمة هى بؤرة العدسة بالنسبة لحياة الرب فى الجسد . والتجسد بكل ما انطوى عليه هو مزيج من الوان الصليب المختلفة . وهذا المزيج ظل ملازما للرب وملتصقا به منذ الوهلة الأولى التى انحنت فيها العذراء بالطاعة حين قالت (هوذا انا امة الرب) . ونعتبر الغيمة القاتمة التى غطت سماء

الرب فى جثسيمانى وما تبعها من احداث ليست الا استمرارا للسابق من الحوادث . الصليب اذا ملح دخل فى كل خدمة من خدمات الرب ابان تجسده المبارك . واذا قصرنا الصليب على حوادث يوم الجمعة فاننا نجاوز الصواب فى التعرف الى حقيقة الصليب .

لكن لا يفوتنا أن يكون واضحا فى اذهاننا ، ان ما جرى فى هذا اليوم المشهود فى تاريخ البشرية هو على درجة بالغة من الأهمية . ومن اجل هذه الأهمية البالغة خصصنا هذه الصفحات ، فيها حاولنا ان نبرز حوادثه ساعة فساعة ، او اقرب ما يكون الساعة ، فى حدود الامكانية التى يسعفنا بها التحليل والاستنتاج .

آثرنا فى هذه الصفحات أن نتحرك تحركا بطيئا ، محاولين ان نستجلى الحقائق ، وان نتعرف الى ما بين السطور ، بطريقة فرض الاحتمال ، وتحليل الممكن واستبعاد غير المحتمل ، ثم نخلص بالنتائج المعقولة . وفى الوقت نفسه تقيدنا الى نص الانجيل المبارك ، من حيث انه مرجعنا الاصيل ، وبحيث لا نخرج عن الخط المرسوم لنا من الروح القدس .

لا شك انه صليب رائع وجميل . ومستحق لكل دراسة وتأمل . ويكتسب هذه الروعة ، لانه من رسم الرب واخراجه . وما يحسبه بعض الناس ، أن ما يكتنف الصليب من آلام وهوان احاطت بالرب قللت من قيمته ، نظنه فى الوقت عينه انها اسباب اضافت الى روعته رواء وكمالا .

- ٢ -

في البستان

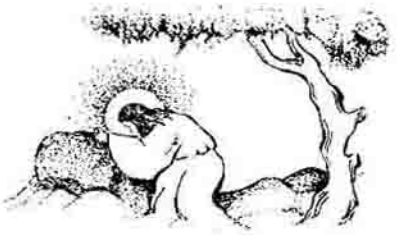

فى البستان

جهاد فى البستان :

فى الليلة التى أسلم فيها الرب ذاته ، ودع علية صهيون ، واقبل الى جبل الزيتون . هناك وجد راحته فى احضان بستان جثسيمانى كما تعود ان يجدها قبلا . ويرجح ان يكون هذا البستان ملكا لأسرة مريم ام مرقس الرسول . وهى الأسرة التى فتحت للرب احضانها ويسرت له اسباب الضيافة . ولا ينافس هذه الاسرة فى الترحاب بربنا غير اسرة اليعازر وشقيقتيه . لكنه يبدو ان هذه الاسرة الأخيرة لم تكن فى يسر مثل نظيرتها اسرة مريم ام مرقس . ومن هنا الترجيح ان يكون بستان جثسيمانى احد ممتلكات هذه الأسرة .

فى هذا البستان ودع الرب نوعا من العناء ، وتفرغ لنوع آخر من العناء . لكنه اشد هولا واعنف قسوة . عناء لو حاولنا ان نترجم عنه ماديا لقلنا عنه انه اقرب الى عصف الريح ، وقصف الرعد ، وهزة الزلزال وثورة البركان . بل هو شىء افظع من هذا كله مجتمعا . وليته كان من الوان العناء التى لها مقاييس مادية ، او هى من نوع الآلام التى تراها واقعة على ربنا بمشورة الأشرار . لكنها معصرة داخلية ، ساحتها فى الداخل وفى العمق من نفس ربنا ولا احد يستطيع استطاعة الدقة ان يقترب من الصدق فى

تفصيلاتها . ومع أن نعمة ربنا وهبتنا الروح القدس ، والروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله ، لكننا مع ذلك نعترف ، بأننا لانستطيع أن نقترب من الصورة الحقيقية لصراع الرب في جثسيمانى الا بقدر ما يعطينا المنظار المكبر من صورة للأجرام السماوية . انها صورة حقيقية ، لكن ينقصها الكثير من التفصيلات .. فرق كبير بين ما كنا نعلمه عن تلك الأجرام بطريق رصد المكبرات وبين ما اجتمع لدينا من معلومات بعد أن خطت قدم الانسان على سطح القمر ، وأتت بعينات من تربته للتحليل .. لكننا يوما ، سنرى الرب وجها لوجه ، وسيرفع النقاب عن جميع التفصيلات التى تشتاق اليها قلوبنا . على أن ما نستطيع أن نطلع عليه من خلال منظار الايمان ، وبالتأمل فى كلمة الله . هو مصدر شبع لنا وتشويق لنا ، حتى ندرك كنه حبه ـ فى فجر ذلك اليوم ، حين يجتمع بجميع الأبرار والقديسين .

وابتدأ يحزن ويكتئب :

لقد كان الرب فى جهاد وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض . منذ اللحظة الأولى التى انفصل فيها عن تلاميذه ابتدأ يدهش ويكتئب . وعبر الرب عن نفسه بالقول (نفسى حزينة جدا حتى الموت) .

شى آخر سبب لآلام ربنا المضنية الخوف مما قد يتمخض عنه الصليب من هوان وعار . لكنه يمكن أن يضاف الى الأسباب الجانبية ، مثل ما يقال عن انكار بطرس ، وتخلى التلاميذ عنه فى وقت المحنة ، فهى كلها أمور ليست جديدة على الرب فى علمه كما أنها ليست جديدة عليه فى خبرته بالانسان ، ... لذلك

لانستطيع ان نقبلها أسبابا جوهرية لحزن ربنا الشديد فى البستان وما ترتب على ذلك من اكتئاب وجهاد ودهش .

فى يقيننا أن عناء بستان جثسيمانى هو الصورة الداخلية القاتمة للصليب التى حلت باحشاء ربنا . ولا تخرج تفصيلات الصليب التى سنتلامس مع دقائقها عن كونها الترجمة المادية لآلام الصليب المعنوية والروحيه . ولقد دخل الرب فى سحابة الصليب باختياره قبل أن يفرضها عليه الناس . والرب بسلطانه هو وضع ذاته .. وأسلم ذاته ...

الجانب الذى لا يطاق فى الصليب ، هو عقاب الخطية ودينونتها . وغضب الله المعلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم .. هذا الغضب بكل ما يلحق به من جامات انصب على هامة الرب .. الرب القدوس البار .. الذى لم يعرف خطية ولا وجد فى فمه اثم .. ومن هنا نكتشف بعض المعالم الخاصة بصليب ربنا من حيث انه وضع لا يطاق من جانب الرب القدوس . فكيف يطيق الرب البار أن تلصق به خطايا الناس ويتكلف ثمنها ... الرب الذى لم يعرف الخطية ولا وجد فى فمه اثم . ولو أن الصليب اقتصر على ما جاء ذكره فى الانجيل من آلام جسدية ، ما كان مكلفا للرب بالقدر الذى نراه .. لكنه فى الواقع ابعد جدا واعمق جدا من مدى المسمار فى يد الحنون ، والحربة فى جنبه المطعون ..

لذلك نقول عن آلام جثسيمانى انها كانت قاسية أشد القسوة ، صادقة كل الصدق بالنسبة للرب الهنا . بحيث أن ضيق الرب بها ونفوره منها كان حقيقة لا شبهة فيها ولا خيال .

وحرى بنا ان نتامل شخص الرب الراكع فى جثسيمانى .. انه الله الذى ظهر فى الجسد . وكون آلامه المقدسة تتبلور فى عرق مدمم على جبهته المنطرحة ارضا ، فهذا الأمر يجعلنا نقطع بان آلام جثسيمانى فوق تصور العقل البشرى وابعد من مدى تقديره واحساسه .

لسنا بذلك ننزل باللاهوت الى مستوى الالم والتاثر به ، لكننا نشبه مكانة اللاهوت المتحد بالناسوت بمكانة المخ فى جسد الانسان . هذا علما بان المخ هو مركز الاحساس . يترجم عن الألم ويعبر عنه فى الأعضاء المتالمة ، وهو نفسه لا يتالم .. انه تشبيه مع احتفاظنا بالفارق الكبير .. لذلك كانت آلام ربنا دقيقة جداً ، وفوق تقدير الناس واحتمالهم ، لأن اللاهوت احتل مكان التعبير عن نوع الألم ومداه ، فى ادق مقياس وارق احساس .

فى ضوء هذه المعرفة تحلو للمؤمن ان يركع .

يركع لأن الرب عظم الصنيع معنا فصرنا فرحين . ويركع لعله يبلغ قامة هذه الشركة المقدسة فى بستان جثسيمانى ، حيث جاهد الرب الخطية وكل اسمها ، واحرز نصرا مباركا ، نصرا نعتبره رصيد المؤمن ، اذا ما جاهد ودخل مع الرب فى هذه الشركة المقدسة .

فلتعبر عنى هذه الكاس :

...لتكن لا ارادتى . بل ارادتك .

من خلال منافذ الايمان ، نستطيع أن نقول عن جثسيمانى انه انطوى على هول غريب على طبيعة الرب . وسؤال الرب عن هذا الهول أن يجيز الآب كاسه عنه ، ليس تعبيرا عن الرغبة فى التخلى عن الصليب وعن تكاليفه .. لكنه تعبير عن وجود الرب

فى مقام لا ينسجم مع طبيعته المباركة . هو تعبير عن أن التصاق الخطية وعقابها بشخصه ، امر يتنافر مع طبيعته المباركة .

ومع وجود هذا النفور والامتعاض ، فان الابن انحنى بالطاعة للآب .. وقال « لتكن لا ارادتى بل ارادتك .. »

يصدق القول ان الرب يسوع المسيح بمحض ارادته قبل الصليب واختاره نصيبا له . من غير ضغط او اكراه . فهو الذى وضع نفسه من اجل احبائه . لذلك ميز الرب حبه لنا على جميع انواع الحب . وليس حب أعظم من حبه . وهو نفسه صاحب القول « ها انذا فارسلنى » .

ومن الناحية الاخرى قال الرب طعامى هو ان أصنع مشيئة الذى ارسلنى . ومن هنا نخلص بالنتيجة انه حين تتفق المشيئتان والارادتان ، تتوافق الحرية والطاعة ، بشكل يجعلنا لا نكاد نفرق بين الحالين . فتغدو الحرية طاعة والطاعة حرية ..

ولعلنا نطمع فى ربنا ، أن يزين حياتنا بالطاعة لمشيئته .. ونظل محافظين على الطاعة وناميين فيها ، الى أن نبلغ هذا المقياس المبارك ، حين تغدو ارادة الآب اختيارا وسلوكا .. طعاما وشرابا وموضـــوع مسرة ... بمعنى أن كل مافينا يذوب وتتلاشى صورته ... اننا نعيش له ، فيحتل الرب مكاننا عاملا ومريدا فى حياتنا ، ونحتل مكانه على الصليب وفى القبر .

اسهروا وصلوا :

طلب الرب هذا الطلب من التلاميذ ، لكنه لم يجد بينهم من يستجيب له . وفى كل مرة انفصل عنهم ليستانف جهاده .. كان

يعود ليجدهم نياما . حتى أنه عاتبهم بقوله الرقيق « أما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة » .

نستبعد جدا أن يكون دافع الطلب عند الرب لتلاميذه أن يصلوا وأن يسهروا حاجته الشخصية الى معونتهم فيما يقوم به من جهاد عنيف وفريد فى نوعه . لم تكن معركة الرب فى جثسيمانى من المعارك التى يستطيعها الانسان أو يقدر أن يقدم فيها بعض المعون ، حتى ولو كان ضئيلا . ومع أنها معركة كانت من أجل الانسان،لكنها لم تكن من اختصاصه أو يمكن أن تدخل فى قدراته. ومن أجل ذلك كان الرب ينفصل عن التلاميذ على مسافة رمية حجر ، فى كل مرة كان يستأنف فيها جهاده وعناءه .

أن تجربة شديدة تزمع أن تحل بالتلاميذ ، فماذا هم صانعون احتياطا لها ؟ واى نصيحة يمكن للرب أن يقدمها لهم حتى لا يقعوا فى هذه التجربة ، أو يسقطوا صرعى فيها ؟ أى سلاح اقوى من سلاح الصلاة ، به نقاوم مكائد ابليس . ؟ لا يوجد ما هو أعظم من الصلاة . لذلك كانت نصيحة الرب للتلاميذ .. اسهروا وصلوا ..

كل جهد يصنع من أجل الرب ينعكس تلقائيا على الانسان ، نعمة وبركة ... اسهروا مع الرب وصلوا مع الرب ، واعملوا من أجل الرب ... كل هذا اقتناء من الانسان للخلاص الذى جهزه الرب لنا . حلوة تلك الشركة ، جزيلة العطايا ، أن تكون لنا معية فى ذلك الجهاد وهذه الصلاة ، فاننا سريعا نكتشف العجب ، أن الرب يخلينا من كل التكاليف ليقوم عنا بكل العناء .

بالنسبة للرب يسوع المسيح يصدق القول ان الصلاة فى

جثسيمانى كانت طريق الرب الى جهاد جثسيمانى كما كانت ايضا سلاحه فيه . ونفس القول يصدق بالنسبة للانسان حين يختار لنفسه حياة الجهاد الروحى . الصلاة أحيانا تكون ساحة المعركة، كما انها عدة المقاتل فى الحرب المقدسة .

(مت ٢٦ : ٣٦ — ٤٦) . (مر ١٤ : ٣٢ — ٤٢) . (لو ٢٢ : ٣٩ — ٤٦) .

السلام ياسيدى وقبله :

هكذا مضى الرب النصف الأول من ليلة الجمعة العظيمة . ابتداها بالتسبيح والصلاة من اجل تلاميذه الأحباء ، وما بقى من هـذا النصف مضاه الرب فى الجهاد والمعاناة .. بطريقة فريدة وغريبة على الجنس البشرى .. خصوصا بعد ان اضحى واضحا امامنا ، ان كل هذا البذل ، لم يكن للرب فيه ذنب أو كسب ، الا اذا اعتبرنا خلاص النفس البشرية الـكسب كل الكسب فى حساب النعمة ، ورغم ما يحوط هذا الكسب من تكاليف غالية ..

عاد الرب الى تلاميذه ..يحوط وجهـه المبارك هالة من السلام ويشع من محياه اشعاعات الرضى والسكون . كمن انهى معركة واحرز فيها انتصارا بالغا . لم يعد فى الحساب ماذا دفع او ماذا سيتكلف ، لـكن للانتصار معناه الروحى والمعنـوى ، وما سبق ان قاله الرب للتلاميذ انه راى الشيطان ساقطا مثل البرق ، وقد تاكد الآن بكل الادلة .. ونظنه امرا صحيحا ان الرب اثناء جهاده فى الصلاة لم يفته أن يتناول التلاميذ وجميع احبائه حتى لا يفنى ايمانهم . وقد كان للرب ما أراد لهم .. ودائما يكون للانسان العطية التى يجهـزها الرب له . ومن العبث أن نظن الانسان قادرا ان يحجز لنفسه شيئا ، لم يكن فى دائرة ما صنعه الرب .. لأن الرب وحده هو صانع الخيرات .

ايقظ التلاميذ النيام الغافلين عن انفسهم والغافلين عما يجرى من احداث . ودعاهم أن ينطلقوا ؛ لان الرب يسلم الى ايدى الخطاة . ثم أقبل يهوذا احد الاثنى عشر تلميذا ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب . ووقع على عنق الرب وقبله وقال للرب السلام يا سيد . واذ كانت هذه القبلة ذات الشهرة التاريخية فى الخيانة والغدر هى العلامة بين يهوذا والغوغاء الذين جاءوا معه ، تقدم الجمع والقوا القبض على يسوع المبارك .

لعلنا نطمع ان نعلم تفسيرا ما لدور يهوذا فى تسليم الرب . خصوصا اذا علمنا ان هذه القبلة لم تكن ذات بال فى عملية القاء القبض على الرب ... وان الرب نفسه لم يكن مجهولا من الذين القوا القبض عليه . بل ان الرب المخلص بعد هذه القبلة سأل الحشد من يطلبون ، ثم قال لهم انا هو .. الرب كشف عن شخصته لهم بانه يسوع الناصرى .. اذا فما هو الدور العملى الذى قام به يهوذا فى تسليم الرب .. ؟ لقد كانت تحوطه بالرب خارقة جعلت التفكير فى القبض عليه من المجازفة والمخاطرة التى لاتخلو من الاخطار والاضرار . وكان عند اليهود ان الذى يكشف سر ولغز الرب ويمكنهم من القبض عليه من غير أن تنزل بهم النوازل يكون عندهم صاحب الفضل فى القبض على الرب او هو مسلمه الاول .. أما يهوذا فبحكم عشرته الطويلة مع الرب ، فانه يعلم عنه الكثير الذى لا يعلمه غيره من اعداء الرب . انه يعلم عنه انه صاحب القلب الكبير الذى لا يجازى الشر بشر مثله .. بل انه يكافىء اليد التى تسىء اليه بأن يحسن اليها . انه يعلم عنه بالتأكيد ، انه لا يحقد ابدا ، وقوة الرب التى اجتمعت له تخصصت فى ان تعطى وتهب ، وفى أن يجود وان يشفى ويحيى ، ولا يستطيع قلبه المحب أن يمس الانسان بأى شر مهما عمل او أساء هذا

الانسان الى الرب شخصيا . واستنادا الى هذه الحقيقة التى يعلمها يهوذا حق العلم تقدم بجراءته وتهوره ، وقبل الرب قبلة فريدة ووحيدة فى الخيانة ، مطمئنا بأن يمين الرب لن تصعقه .. بعد القبلة الخائنة انفك الطلسم بالنسبة لليهود فاقبلوا اليه يلقون عليه الأيدى .

مسكين ملخس :

تقدم الرب الى الجمع رابط الجأش وقدم اليهم يديه يسهل لهم مهمة القبض عليه وربطها بالقيود . لكن الموقف كان قاسيا على التلاميذ ، ولم يكن هينا عليهم أن يروا الرب المعلم مقيدا ، لا حول ولا قوة له .. مستسلما كشاة تساق الى الذبح . لكنهم كانوا عزل من العزيمة والسلاح .. الا بطرس فقد فاجأنا بأنه يملك سيفا ، استله وضرب عبد رئيس الكهنة ، فبتر اذنه .. ولكى نكون منصفين لا يفوتنا أن نرثى لملخس الجريح كما نرثى لبطرس المعتدى . او على الأقل لا يفوتنا ان نسجل ان هذا ما كان يحسه الرب نحو الاثنين . كل منهما اخطأ وكل منهما كان ضحية للخطية التى استشرى شرها فى جثسيمانى . كان الرب حزين النفس حتى الموت . ومن اسباب هذا الحزن المميض انه رأى أحد أحبائه مثل ملخس تدمى جراحاته من أى جزء من أجزاء جسمه . ولملخس مكان فى قلب الرب المخلص مثله مثل بطرس . فمن أجل هذه المحبة ، لم يكن الانتظار محتملا وملخس تدمى جراحاته ، ويتلوى منها ألما . وباليد المقيدة امسك الرب المبارك بالأذن المبتورة ووضعها فى مكانها . وشفى ملخس .

فى استطاعة بطرس أن يعتدى ويدمى اخوانه فى الانسانية ، ويزرع الألم والأنين فى الآخرين . اما الرب فمن اختصاصه وحده

ان يصوب أخطاء الناس ويشفى ضحاياهم ويوقف نزف جراحاتهم احس احساس البشر جميعا اننا اذا نلتقى بقصة الرب فى المجسد نلتقى فعلا بالشخص العجيب المثير . وسيظل الرب الى أبد الآبدين ، الفريد ، صاحب المثال الجديد على البشر فى كل تصرفاته .. منظر الرب وطريقته واسلوبه يعشى أبصار البشرية المتعجرفة التى تظن القوة كل القوة فى استعراض عضلات البطش والقمع . أما الرب فصاحب تعليم وطعام آخر . لذلك بعد ان نلتقى بالرب هذا اللقاء الصريح علينا الا نستغرب موقفه من ملخس كما اننا لم نستغرب موقفه من يهوذا الذى اقبل اليه مسلما . حين ناداه بالخطاب (يا صاحب) .

نعود الى بطرس تلميذ الرب وحامل السيف فى نفس الوقت التلميذ الذى حفظ وصية من الرب انهم لا يحملون من أجل الطريق لا عصا ولا مزودا .. ما باله يحمل سيفا ؟.

كان بطرس مخلصا فى انفعاله ، لكنه كان مخطئا جدا فى تصرفه المتهور . ولا يبرر الخطأ حسن النية او الاخلاص فى الدافع . لا يبرر الخطأ دعوى خدمة الله ، لأن الاسم الحسن لا يجتمع بالخطأ ، كل محاولة لخدمة ملكوت الله يلزمها أن تصطبغ بصبغة الصليب وان تلتزم باسلوبه . ولا يرفض ربنا عملا مثل ما يرفض محاولات الانسان حين يخترع أسلوبا للخدمة والعبادة ، متحررين من قيود الصليب . ولقد كانت محاولة ماكرة من الشيطان حين دفع التلميذ الغيور بطرس الى فعلته المنكرة .. وكان هدفه من ذلك تعطيل الطريق السلطانى الذى مهده الرب وعبده بعرقه ودمه . وعند الرب لا مجاملة على حساب

المبادىء ، فضن على تلميذه الغيور بكلمة المديح ، لكنه وجه اليه أمرا حازما وجازما . (رد سيفك الى غمده) .

* * *

انتهى الأمر ، وقبض على يسوع .

وبعد ان ضرب الراعى تبددت الرعية . ووقع التلاميذ فريسة خوف وفزع ولم يملكوا غير الهرب . وشذ عن هذه القاعدة ثلاثة من التلاميذ . وهؤلاء الثلاثة الذين لم يطلقوا سيقانهم للريح هم يوحنا وبطرس وثالث ، قال عنه انجيل مرقس انه تبع الرب عن بعد وكان يلبس ازارا على عرى . ثم ادركه اعداء الرب وامسكوه من ازاره فترك الازار فى ايديهم وهرب عاريا . هذا الثالث هو مرقس الرسول . الشاب .

- ٣ -

متهم وقضاة

متهم وقضاة

لم يبق أمام الرب الذى امسكوه الا أن يسوقوه امام تيارهم الجارف الى دور ومجالس المحاكمات . وقبل منتصف الليل بقليل حتى الساعة التاسعة صباحا ، انتقلوا من محاكمة الى أخرى كأنه خروف الفصح الذى يشوى شيا على النار .. ويتقلب عليها . وهذه المحاكمات افتقرت الى السيد القانونى الذى يخلع عليها صفتها القانونية فى الاجراءات وفى التنفيذ . هذا فضلا عن اختلال الموازين . فقد جلس فى مكان القضاء قوم لهم شهرة فى كسر القوانين — سواء فى السر او فى العلن — بينما جلس فى مكان الاتهام البار . وصاحب الحق الأول فى محاكمة الأحياء والأموات ، الرب الديان العادل . ومع ذلك ورغم الخلل ، فان هذه المحاكمات سارت سيرها حتى نهاية الشوط والى آخر المدى . لكن مع انتصار الظلم ، فهل هذا الانتصار يخلع عليه شرعية .. كلا والف كلا . وسيبقى الظلم ظلما ، حتى لو احتل عرش السيادة ، وأمسك بكل أسباب العنف والقوة .

قيافا وحنان

قادوا الرب الى بيت رئيس الكهنة . وتناوب فى هذه الرئاسة حنان وقيافا . فتبادل كلاهما محاكمة الرب . ولقد كانا كلاهما فى قرابة النسب ، كما كانا فى منافسة المنصب . كما كانا أصحاب مصالح مشتركة فى الأرباح المشروعة وغير المشروعة .

واذ وقع الرب فى قبضة ايديهما ، وافلتت من مكانها الانفعالات الشرسة الحيوانية . والرغبة النهمة فى الانتقام . والآن فلهما أن ينكلا بالرب ما شاء هو وما اشتهوا له من التنكيل . فأين هم الآن من الأمس وما قبل الأمس .. حين كان يسوع الناصرى يشكل تهديدا خطيرا لمراكزهم ومصالحهم ، فانه بطريقته وأسلوبه الفريد جعلهم فريسة للحيرة والخوف .. ولم يكن آنئذ مستطاعا عندهم السكوت عليه ، لكنه ايضا لم يكن مستطاعا لهما التحرك فى مواجهته .. أما الآن فقد اختلف وانعكس الموقف . انهم الآن سادة ، وغريمهم يسوع الناصرى أمسى تحت سيطرتهم وأمرهم . والحقد الأسود الذى اقلقهم كل هذه السنين له الآن أن ينفلت من عقاله ويترجم عن نفسه .

بقى الرب فى بيت رئيس الكهنة من قبل منتصف الليل الى الساعة السادسة صباحا من يوم الجمعة العظيمة . وفى هذا المكان وفى الساعات الأولى من الليل جرت المحاكمة الأولى . على ان هذه المحاكمة لم تكن محاكمة بالمعنى المعروف . انما كانت محاولة لايجاد التكييف القانونى للتهمة التى ارادوا تلفيقها ضد الرب . وهنا نرى كيف الامور جرت فى عكس ما يجب أن تجرى فيه ابسط الاجراءات . فانهم أولا القوا القبض على يسوع الناصرى ، وبعد ذلك فتشوا على أسباب الاتهام ، وما يمكن ان يقام ضده من اتهام . مع انه كان الأصوب أن يقوم الاتهام اولا ثم يلقى القبض على الرب . لكن من كان يستطيع أن يرفع سبابه بالاعتراض أو الاحتجاج على رؤساء الكهنة والشيوخ . واستغرقت محاولتهم الشريرة وهى الحصول على اتهام يصلح أن يدان الرب من أجله وقتا غير من الزمان . الى ان اسعفهم الرب بالقول انه المسيح ابن الله ، وانهم من الآن يبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء . واعتبروا هذا الاعتراف من جانب

الرب تجديفا . وقد استغرقت هذه المحاولة الى ما بعد الساعة الواحدة صباحا .

بعد الانتهاء الى راى محدد فى موضوع الاتهام الذى يقام ضد الرب ، قام العبيد وجند الهيكل بواجبهم المشتهى نحو الرب . وهو ان يقوموا بدور الاستهزاء بالرب .. ولسنا نظنهم يقدمون على مثل هذا العمل الاجرامى والوحشى لولا انهم به يقدمون خدمة يرضى عنها رؤساؤهم ، وتشبع فيهم نهمهم الدنيء .. وبشيء من التانى والتامل التخيل ونتصور هؤلاء العبيد وهم يتنافسون ويتزاحمون ويتسابقون .. كل منهم بصق على وجه الرب المبارك ولكم الرب ولطمه على خديه .. انه لامر غريب مفرط فى الغرابة ، أن يتطوع الانسان بنفسه ، او باغراء سادته ليقوم بهذا العمل الشائن . ومما لاشك فيه ان هذا العمل قد اساء الى الرب الذى اسلم قياده للاشرار ، لكنه اساء بشكل اكثر واشد للذين اشتركوا فيه ونفذوه .

ادعى أتباع الناصرى ، انه نبى ، وهل يخرج من الناصرة نبوة؟ امر ليست له سابقة فى التاريخ . واحس العبيد وجند الهيكل انه من واجبهم ان يمزقوا ثوب النبوة المزيف كما ظنوه . فاستهزاوا به وهم يقولون (تنبأ ايها المسيح من ضربك) . واستمر هذا الاستهزاء مع اللطم واللكم والبصق الى ما قبل السادسة صباحا .

سمعان بطرس :

حين اقتادوا الرب الى بيت رئيس الكهنة لم يصاحبه فى هذا الركب من احبائه احد . وحين دخلوا به هذا البيت ، لم يدخل

معه أحـد الا يوحنا الحبيب لأنه كان معروفا . أما بطرس فبقى خارج الدار بعض الوقت ، حتى اذا توسط له يوحنا الحبيب لدى الخدم ادخلوه حوالى الساعة الثانيـة عشرة (منتصف الليل) . وظل بطرس فى الدار الخارجية وشاهد من بعيد جزءا من محاكمة الرب شاهده كيف التزم صمتا عجيبا وشاهد أيضا تجنيا مجرما على الحقيقة اشترك فيه شهود الزور مع سادتهم الذين قادوهم ودفعوهم ..

فى هـذه الاثناء استيقظ بطرس من دهشته وافراطه فى التعجب على صوت نداء او صوت اتهام بأنه من اتباع الناصرى. وفى هذه اللحظة وقع بطرس العثور فى فخ الانكار .. الذى تكرر وتأكد بقسم ولعن .. مسكين بطرس ، لأنه بالسيف الذى أصاب اذن ملخس أصاب ايمانه ويقينه بنفس العمق . على ان الرب الذى أحاطه الكيد والاستهزاء من كل جانب لم يكن لينشغل عن بطرس التلميذ المحبوب . فنظر الى بطرس وفى النظرة رثاء ودعاء ونداء ... لأنه حسب المعلم الصـالح انه فقد يهوذا .. وعزيز جدا على الرب ان يضاف بطرس الى قائمـة القتلى الأقوياء . فخرج بطرس الى خارج الدار وبكى بكاء مرا ..وهذا البـكاء يدموعه الحارة خلف وراءه ذكرا حسنا وتعزية بانية فى نفوس المؤمنين أكثر مما خلفه الانكار .. من الطبيعى على النفس البشرية أن تضعف ، لـكن الأمر غير الطبيعى اذا كانت هـذه النفس لا تتوب .. ومبارك الرب الذى فتح باب التوبة والدموع ، ومبارك أيضـا لأنه قادر ان يطهرنا ويغسلنا من كل رواسب افـكارنا واعمالنا .

بعيدا عن عيون الرقباء :

امام الرؤساء والشيوخ مهمة لا تقل خطورة ولا اهمية من الخطوة السابقة . فان هدفهم لم يقتصر على مهمة القبض على يسوع الناصرى ، انما كان هدفهم الأهم هو القضاء على يسوع باستصدار حكم الموت عليه . وهنا تواجههم ترتيبات لابد من استكمالها ، وفى الوقت نفسه فان الوقت لا يتسع للاجراءات العادية لأن الفصح اقبل .. وان اى تأخير قد يفوت عليهم فرصتهم الفريدة ، والخوف اشد الخوف ان يفلت من ايديهم هذا الصيد الثمين .

ونظنه ظنا صادقا انهم بمجرد ان امسكوا باعتراف يسوع ، فان الكاهنين الشيخين ، جمعا الأتباع والمريدين ، وتوزعوا فرقا تدور على ذوى الرأى والشأن من رجال اليهود . لأنه لابد من الاقناع والاتفاق على قرار قبل ان يجتمع شمل الشيوخ والرؤساء فى اجتماع رسمى فى صباح الجمعة . وحتى يوفروا على انفسهم عناء المناقشات وما الى ذلك .. ونظن أيضا أن بيلاطس كان أحد الذين قرعوا بابه ، فى ساعة متأخرة من الليل .. ومع أن الوقت لم يكن مناسبا للقاءات رسمية لكن الحرج والرغبة الملحة فى استصدار قرار الحكم بالموت على يسوع الناصرى ، جعلهم يتخطون كل الصعوبات ، ويتجاهلون ابسط المجالات . ولعلهم استفادوا من هذا اللقاء فى ساعة متأخرة من الليل لاقناع بيلاطس ان الأمر على درجة من الخطورة . ويحتاج ان يعالج على وجه السرعة .

ومما يجعلنا نرجح هذا النشاط ، ونكاد نقطع بحدوثه ، سرعة الاجراءات التى حوكم بها الرب ، والسرعة التى صدر بها

حكم الموت على يسوع .. وكيف انهم استصدروا حكم الموت على الرب بعد اربع جلسات متتابعة وفى امكنة مختلفة .. اولى هذه المحاكمات كانت فى الهيكل ، والثانية فى دار رئيس الولاية والثانية فى منزل هيرودس .. وهذه المحاكمات استغرقت من الوقت ثلاث ساعات بما فى ذلك زمن الانتقال من مكان الى مكان آخر .

انها ليلة كانت مليئة بالتحركات الدبلوماسية او المحركات اللولبية ولم يهدأ للكهنة والرؤساء بال الا بعد ان اطمأنوا الى رأى الرفقاء والرؤساء ، ولقد توصلوا الى هذه النتائج قبل أن تظهر تباشير الفجر .. ولو أن دعاة الايمان والخلاص لهم نفس الاجتهاد، والصمود والاتفاق فى خدمة قضيتهم العادلة كما كان الحال مع صالبى الرب .. فلسنا نظن العالم كان يشكو من انتشار روح الالحاد والانحراف .

المحاكمة الثانية : (فى الهيكل)

رويدا رويدا ، ظهرت تباشير الفجر ، وطوى الليل رداءه القاتم . وكان هذا ايذانا لقيافا وحنان بأن ساعات العمل الجادة اقبلت وعليهم أن يستفيدوا من كل دقيقة فيها بكل حدة وشدة .

وفى الساعة السادسة من صباح الجمعة ، وبدعوة من رئيس الكهنة ، اجتمعت المحكمة العليا لليهود فى الهيكل . وهذه المحكمة تتالف من سبعين عضوا برئاسة رئيس الكهنة . وكضمان للعدالة، فجلسات هذه المحكمة تجتمع فقط فى رحاب الهيكل وفى ضوء النهار . زمانا تنفع الضمانات اذا اجتمعت النية السيئة مع السلطة المطلقة للانسان .

سيق الرب الى هذه الجلسة . ووقف الرب متهما داخل دائرة من الكراسى جلس عليها القضاة . وفحصوه من جديد على اساس الاتهام الذى توصلوا اليه فى المساء السابق . وأنه من تحصيل الحاصل ان نقول ان هذه المحاكمة كان ينقصها الكثير من الاصول المتبعة ، والتى تخلع عليها الصفة القانونية . ومع بطلانها شكلا وموضوعا ، فانها استطاعت أن تصدر اجرأ حكم شهده التاريخ القديم والحديث .

اجابهم الرب على سؤالهم ان كان هو المسيح « منذ الآن يكون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله » . . وبهذا الكلام اراد الرب ان يوضح الحقيقة . ان الانسان مهما أوغل بنفسه فى الظلام والظلم ، فان ارادة الله العظيمة المقدسة ، ذات البأس والقوة ، لا يقف أمامها الانسان فى كل محاولاته البائسة التعسة . لان الرب الذى يبدو أمامهم مقيدا بقيودهم مربوطا الى ارادتهم . فانه يجلس عن يمين قوة الله . وان القوة كل القوة ، والمجد كل المجد ، أن تتم مشورة الله حسب حكمته السرمدية ، رغم المظاهر التى نستنتج منها عكس هذه النتائج .

اعتبروا اعتراف الرب أعظم شهادة تقوم ضده وتدينه . والاعتراف سيد الادلة . وعند اليهود يستحق المجدف حكم الموت وتنفيذه فيه . الا أن القانون الرومانى لم يعط اليهود سلطة اصدار مثل هذا الحكم ، بل اوجب اعتماده أو استصداره من الوالى الرومانى . لذلك كان الأمر ملزما أن يطرقوا باب بيلاطس حتى يستصدروا حكم الموت على الرب الحى الى الابد .

المحاكمة الثالثة : (أمام بيلاطس)

جاءت القافلة الغوغائية الى قصر بيلاطس . ولا يغير من غوغائيتها أن السادة رجال التشريع وزعماء الدين عند اليهود كانوا فى مكان القادة منها . وأن وجودهم القيادى بين الجماهير المنقادة، خلع على الهمجية ، والانفعال العصبى صفة القانونية . لا بأس من ناحية المبدأ ان يتعارك الشر مع البر . لكنه بأس شديد الوطأة أن يسود الشر على الخير ، وأن يخلع على هذه السيادة الصفة القانونية والشرعية .

جاءت هذه القافلة بالرب الى بيلاطس . تسبقها اليه احقادها وانفعال عواطفها . ولم يبق فيهم اى بقية للتعقل أو التريث . الا انهم كانوا فى منتهى الحذق . فلقد ادركوا أن التهمة التى اقيمت على يسوع فى الهيكل ليست بكافية فى نظر الوالى الرومانى لكى يصدر حكم الموت على الرب . لذلك احتاطوا وحفظوا فى جعبة المكر والافتراء تهمة جديدة يمكن أن تضاف الى الاتهام السابق اذا احتاج الأمر وهى : أن الرب (يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا أنه هو مسيح ملك) .. لكى تلتصق بالرب تهمة الخيانة العظمى للسلطة الرومانية الحاكمة . وهى التهمة أو الجريمة التى تبرر اصدار حكم الموت على يسوع البار .. من وجهة النظر الرومانية .

كانت تمثيلية مكشوفة ، قام بها زعماء اليهود .. ودفعوا الثمن باهظا من كرامتهم ومراكزهم ووصمتهم بأسوأ الصفات التى يمكن ان تجود بها القواميس فى كل اللغات .. فلقد كان عجيبا حقا أن يدعى اليهود لانفسهم احساس الغيرة على عرش قيصر ، والخوف على السلطة الرومانية فى الأراضى المقدسة . كأنهم دعاة هذه السلطة وحماتها .. وهم انفسهم ، باجدادهم

واحفادهم ، اصحاب الثورات المتكررة ضد هذه السلطة .. انها صداقة مغرضة ، تبقى لهم حتى يقضوا مآربهم ، وبعد ذلك يعودون الى قواعدهم الاولى من الكراهية والمكر لهذه السلطة التى يغيرون عليها الآن .

لم تنطل الحيلة على الوالى الحصيف . ورغم التكييف القانونى والتزييف الماكر للتهمة على الرب ، فانه اجابهم بكل صراحة (إنى لا اجد علة فى هذا الانسان) .

هذا الحكم الذى انتهى اليه بيلاطس فى قضية الرب يستحق منا التأمل والدهشة . لأنه قرار يختلف تماما مع ما كان منتظرا من رجل استخدمت معه العصابات اليهودية كل وسائل الخداع ، واساليب الاقناع فضلا عن التهديد .. وعندنا أن هذا الرأى كان أيضا مفاجأة لبيلاطس نفسه . لانه لم يكن ينتظر أن يلتقى مع الحقيقة فى صورة تختلف مع الصورة التى صورها له اليهود وحاولوا ان يقنعوه بها . انه الآن يلتقى بالرب يسوع مقيدا تحوطه الاتهامات من كل جانب ، ويلتزم صمتا ، يقف دليلا على صدق الادعاء عليه .. لكن الأمر اختلف فى نتيجته كل الاختلاف عما كان متوقعا .. فمجرد اللقاء بربنا يكشف عن الحقيقة عارية ، ونوره الهى يبدد الظلمات التى تكتنف مشورة الاشرار .. كل اتهام نسبوه الى الرب ، لم يستطع ان يجد مكانا فى محيا الرب الوديع الساكن الهادىء ..

من هذا نريد ان نخلص بنتيجة فى غاية من الأهمية . وهى أن الأحكام التى نصدرها على حياة الرب وشخصيته ، بناء على ما نسمعه عنه او تردده الالسنة ، غالبا ما نغيرها الى نقيضها بمجرد أن تسمح عناية الرب لنا بهذه النعمة الجزيلة وهى ان نراه ،

نرى الرب وجهـا لوجه .. فنتلامس بالحقيقة مع الحب والبر والقداسة .. وحتى مانسمعه عن الرب من احبائه ، لا يملك علينا مشاعرنا مثل ما نلتقى به ونستخلصه من خبرتنا الشخصية .. لذلك كان موقف بيلاطس ، يختلف بعد لقاء يسوع البار عن موقفه قبل ان يلقاه ..

فات الرؤساء أن يكتشفوا الرب كما اكتشفه بيلاطس . لانهم وضعوا عصابة من التعصب على عيونهم . لكن ماذا يستطيع بيلاطس ان يصنع وهو امام بحـر من الناس ، تتلاطم امواجه وتتكسر . وظن بيلاطس انه قد يجد مخرجا لنفسه من وزر اصدار الحكم على من لم يقم عليه دليل فى الادانة . ولعل دليـل البراءة اقوى . فحول محاكمة الرب الى هيرودس بحجة أنه اكتشف ان الرب ينحـدر من أصـل جليلى . فارسـلهم والرب معهم الى هيرودس ، وتنفس الصعداء .. لكن الى متى ..؟

المحاكمة الرابعة : (امام هيرودس)

تحركت الكتل البشرية تتزاحم ، وفى كل حركة من مكان الى آخر ، حافظ قادتها من اليهود ، على صفة الجدية والسرعة . وفى ركضهم وسباقهم للزمن ، كانوا يدفعون الرب امامهم دفعا بغير رحمة . الى ان وصلوا قصر هيرودس ، وهناك مثل الرب بين يديه .

هيرودس الذئب مازال ملطخ اليدين بجريمة قتل المعمدان ، بجانب دماء الضحايا الأبرياء . ورجل من هذا الطراز ، هل نظنه يتورع بأن يضيف الى قائمته السوداء ، جريمة الاشتراك فى قتـل يسوع .. لسنا نظنه يتورع .

كالحمل الوديع لزم الرب صمتا امام هيرودس . ونعلم عن الرب انه لم يضن عن سائل مهما كان بكلمة المعطف والشفاء .. اما هيرودس الهازل فى حياته ، المستهتر فى تصرفاته ، والذى لا تجدى معه كلمة النصيحة ، فليس له فى لغة الرب كلمة تناسبه. فلزم الرب صمتا يدين هيرودس ، فيما لا يقل عنفا عن تبكيت يوحنا المعمدان له .

هذا الصمت صادف هوى عند الرؤساء . مما يهمهم الا يقوم دليل يكذب دعواهم . وصمت ربنا معناه عدم الرغبة فى الدفاع ، او كما يفسرونه ، انه لا يجد ما يدافع به عن نفسه . فحبذوا هذا الصمت ورحبوا به ايما ترحيب . وغدا كل شىء يخدم اغراضهم فى القضاء على يسوع . والغريب فى الأمر ان خصمهم الذى أوثقوه يتفق معهم فى تسهيل مهمتهم : ولو علموا انه يفسح المجال فعلا لكى تتم مشورة الله المحتومة فى ابن الله . ظن المساكين انهم بالموت يخلصون من نير ابن الله ، والرب أراد ان يخلصهم بموته . فاتفقت الوسائل واختلفت الأهداف والنتائج .

لم يكن معروفا عن هيرودس الملك انه كان يوما جادا . لكنا نعلم عنه انه كان يؤثر الحياة السهلة الماجنة ، الحياة التى لا تكلف صاحبها شيئا .. وفى الوقت نفسه توفرت له اسباب المجون والتسلية . ومن اجل ان يشبع شهواته عاش ، ومن اجل نفس الهدف حكم وملك . كان جزءا من برنامجه ان ترقص له هيروديا وأمثالها ، ومن نفس البرنامج ان يوزع الهبات والهدايا على الذين يخدمون لذاته الى نصف المملكة . ولا بأس من قطع رأس يوحنا المعمدان ، ما دامت حياته النهمة الشملة لا تفيق .

حافظ هيرودس على هذه الفلسفة المستهترة حتى حين

التقى بالرب يسوع . فظنه يصلح ان يكون مادة لتسليته ، فأراد ان يسمع وان يرى الرب يصنع امامه آية . لكنه خاب ، لأن الرب ضن عليه . ليس عند الرب ما يسلى الناس وينسيهم خلاصهم . الرب خادم للخلاص ومتخصص لهذا العمل . واذ لم يجد هيرودس فى الرب ما يشبع هوايته الشريرة ، فانه تسلى بالطريقة التى تشبع غرائزه . فاحتقره هيرودس مع عسكره ، واستهزأوا به والبسوه لباسا لامعا . مبارك اسمك ايها الرب الصالح . لا مكان لك فى هذه القصور التى اتخمت فجورا واثما . كما انهم ليس عندهم ما يقدمونه اليك ايها المبارك . فانت نفسك الذى ضاقت بك الأرض عند ولادتك فاستضافك المذود . وايضا عند الصليب، ضاقت بك كل القصور ، وفى كل قصر وجد نصيبا وافرا من الهوان . سكر هيرودس وحاشيته بمنظر الرب يلفه الهوان . واحس انه قام بواجبه نحو القدوس . اما الرب فقام بواجبه نحوه ونحو الذى ارسله اليه . فصنع سلاما بين العدوين هيرودس وبيلاطس .. بعد ذلك لم يبق للرب مكان فى بيت هيرودس فرد الى بيلاطس .

المحاكمة الخامسة : (امام بيلاطس للمرة الثانية)

جاءوا بالرب ثانية الى بيلاطس . لأن هيرودس لم يحسم الأمر بكلمة . انما ترك القضية معلقة . وان كنا لسنا نعلم كيف استقبلهم بيلاطس ثانية وهم يعودون اليه بيسوع مقيدا ، الا اننا نتوقع انه استقبلهم استقبالا فاترا . لم يشاركهم تحمسهم ، كما انه لم ير رأيهم . وفى الوقت نفسه ، لم يتركوه يتصرف كما يهوى او كما تمليه عليه المصلحة العامة — من وجهة نظره .

كرر بيلاطس المحاولة ، ان يطلق يسوع . لكن كيف السبيل ؟
عرض الوالى على حماة الدين والقانون ، ان يطلق يسوع ، على ان يؤدبه أولا .. او بمعنى آخر انه مازال عند رايه (المتهم برىء من تهمة تقضى عليه بالموت) لكن لاباس عند بيلاطس حفظا لكرامة السيادة زعماء اليهود ، الذين صاغوا الاتهام زورا ، ان يوقع على الرب بعض العقاب .. وهذا المحل الوسط لم يرض اصحاب السلطان . لان الهدف الأول عندهم هو ان يقضوا على يسوع وان ينزع من ارض الأحياء . وهو الطلب الذى لا يقبلون له بديلا .

تذكر بيلاطس ، انه فى العيد ، ومن عادته فى العيد ، ان يطلق لهم أحد الاسرى . فخير الرؤساء اى الاسرى يطلق لهم فى العيد ؟ يسوع ام باراباس ؟. وفاجأوه بانهم اختاروا باراباس ليكون حرا ، وطلبوا ليسوع الموت . وباراباس هذا رجل له شهرة فى سفك الدماء وفعل المنكرات وكان قد القى فى السجن لأنه اشترك فى جريمة قتل وتحريك فتنة بين الشعب . انه انسان ليس له فى حياته ما يشفع له لكى يطلق سراحه من السجن . لكن فى سبيل القضاء على يسوع الخصم الأول لليهود ، فانهم لم يجدوا غضاضة ان يطلق سراح المجرمة ويقضى بالموت على القداسة والبر .

يا للانسان المسكين ، حين يتوغل فى طريق الشر باسلوبه اللامبالاة ، فانه لا يعلم المدى الشنيع الذى يصل اليه . ادعوا على يسوع انه صانع فتنة ، فاضحوا دعاتها وضحاياها الأول .

هل من فجر ينهى هذه الحيرة .

اصبح بيلاطس فى موقف لا يحسد عليه . وهو يعالج اعقد قضية فى حياته . وفى هذه الأثناء استلم رسالة من زوجته تحذره

قائلة « اياك وذلك البار ، لانى تألمت اليوم كثيرا فى حلم من اجله » امسك بيلاطس بهذه الرسالة وقلبها بين يديه لعله يكتشف بها أمرا جديدا . انها اضافت دليلا جديدا يؤكد اقتناعه . لكنه كان يعنيه بالاكثر كيف يتصرف فى هذه القضية ، وكيف تجتمع له الجراءة والقسوة التى بها يصدر حكمه على البار ببراءته . انه ليست له رغبة أن يتنكر للعدالة ، لكنه أمام جماهير تندفع امامه اندفاع قطيع الفيلة المجنون . . ؟

على اننا ونحن نتابع هذه المحاكمة الجائرة نجده من الصعب علينا ، الا نعالج موضوع رسالة زوجة بيلاطس . فقد كانت اشبه ماتكون بنور البرق الخاطف فى ليلة حالكة السواد . خطف بنوره الوهاج ثم ذهب مع قافلة الزمن .

من غير مقدمات ، كتبت زوجة بيلاطس عن المسيح انه بار ، وتدافع عنه ، فى وقت عز فيه المدافع عن الحق . لكن هذا يعنى ان اخبار الرب ، بطريقة ما غزت بيت بيلاطس ، وهو شخصيا كان موضوع اهتمام ومناقشات بين افراد هذا البيت . لانه لم يكن ممكنا أن يظهر الرب بدعوته البانية ، وبثورته الروحية والسلوكية وبازدحام الجماهير حوله ، ولا تنقل اخباره الى قصر هيرودس ، لكن ما هى الصورة التى نقلتها الاخبار الى قصر بيلاطس عن الرب وعن تعليمه ؟ . . لا نستطيع ان نقطع بجواب ، لكننا نعلم ان الاعمال البارزة رغم كثرة المقاومين لها ، فانها قادرة ان تكسب بعض المؤيدين لها فى معسكر الاعداء . ونحن نرى أن زوجة بيلاطس من الذين قبلوا الرب وآمنوا برسالته قبل ان يلتقوا به ، وهى ايضا من أمثال يونا امراة خوزى وكيل هيرودس . لذلك كان الرب موضوع مشغولية ، ولذلك سمح الرب ان يعطيها رسالة تخدم الحق وتشهد له فى حلم الليل .

هل علم بيلاطس انه أمام جريمة تاريخية . وهل نستطيع أن نرجع حذره الى انه لا يريد أن يتلطخ بوزرها .؟ كل هذا كان جائزا . لكنه كان من الواضح انه لا يستطيع ان يعاند الرؤساء الى كل المدى . لانهم هددوه (ان اطلقت هذا فلست محبا لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر) . وهو يعلم عنهم انهم اذا دخلوا معه جولة بعنادهم فلن يثنهم عن طريقهم عائق . فلجأ الى الماء وغسل يديه على مشهد من الجميع وبرأ نفسه من دم البار . اما هم فصاحوا ان دمه عليهم وعلى أولادهم .

لا نشك لحظة ، ان بيلاطس حاول جهده فى ان يطلق الرب . ومع ان محاولته كان يشوبها كثير من الجبن وكثير من الخوف على المركز المرموق ، الا انها المحاولة التى لم يتقدم احد بأفضل منها . فهو من هذه الناحية افضل العينات البشرية ، امانة فى الدفاع عن براءة الرب . كان صوته صوتا واحدا ، لم يستطع ان يغطى أصوات الضوضاء والغوغاء . فسكت اضطرارا وارتفع صوت المهيجين انتصارا .

اقفلت جميع المناقذ أمام بيلاطس . واخيرا ، حيث لا خيار أمامه ، أصدر حكمه على الرب بالموت صلبا ، وقد كان هذا فى الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة العظيمة .

- ٤ -

صليب قبل الصليب

صليب قبل الصليب

من الساعة التاسعة من صباح الجمعة الى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، تعرض الرب فى كل دقيقة لالوان من التعذيب والآلام ، كل دقيقة من هذه الفترة تعتبر صليبا كاملا ، او هى حلقة من سلسلة الصليب المتصلة . لذلك فان القديس مرقس كان صادقا جدا حين اعتبر ساعة الصليب الساعة التاسعة من صباح الجمعة ، خلافا لبقية الانجيليين الذين اعتبروها الساعة الثانية عشرة ظهرا .

اعداد الصليب :

قبل أن يرتفع ربنا يسوع على الصليب تلزم بعض الاجراءات . ومن هذه الاجراءات اعداد الصليب . وكان على الكهنة ومن رأى رايهم أن يجهزوا صليب الرب . فجهزوه من خشب اغلف خشن خلو من اى تهذيب . ولو أتيح لنا الآن أن نراه كما اعدوه لوقفنا امامه مشدوهين ومستغربين . أيكون ذلك الصليب فى كل قبحه وبدائيته هو نفسه الصليب الجميل اللطيف الذى نتغنى به الآن وننشد له ؟ لابد لهذا الشكل الاغلف أن يعبر عن المعنى الذى قصده الوحى من عقوبة الصليب التى وقعت على الرب فضلا عن اللعنة التى تحل بالمصلوب . اما الوجه الآخر ، اما سبب فرحنا به وبهجتنا بصورته ورسمه ، فانما يرجع الى ما تمخض عنه الصليب . فهو قوة الله وموضوع فخرنا على مدى الأيام .

اما يسوع فجلدوه واسلموه ليصلب :

لابد للمصلوب ان يتعرض لعقوبة الجلد . باعتبارها جزءا من الصليب .

وماهو الجلد . ؟ انه امر مخيف فيمجرد ذكره ، فكيف فيادائه وتحمله . . ؟ فان المجلود يربط الى عمود ، ثم يضرب بسياط طويلة ، تلتصق بها قطع من الرصاص . ويلتف السوط حول جسم المجلود ، وتلتصق قطع الرصاص بجلد الضحية ، ولا يتركه الا بعد أن ينزع الجلد ويتناثر العضل . وبتكرار عملية الجلد تمزق جسد الرب تماما . ولم ينج جزء من الجسد المقدس من عملية التجريح والتمزيق . ولكى نعلم ما هو الجلد نسجل ما قاله احد الذين عاصروا هذه العملية الوحشية (ان الجلد عملية وحشية تتسبب فى جنون الضحية ان لم تتسبب فى موته) .

على أن الجلد يمكن أن يكون مخففا فى ادائه . لو انه اوكل الى غير الجند الرومان ، الذين يدخل فى عبادتهم طاعة الأمر والخضوع للسلطان . أو أن اليهود لم يقفوا حراسا على تنفيذ الجلد . فهذان العاملان ، متآزرين ومتكاتفين ، إضافا الى قسوة الجلد قسوة . ولنفس السبب نرى أن الجلد فيما لو نفذ فى اللصين لم يكن فى نفس القسوة كما نفذ فى الرب .

الاستهزاء الثالث :

مازالت هناك فسحة من الوقت ، بعد أن انتهوا من عقوبة الجلد ، لأن الصليب لم يجهز حتى هذه اللحظات . فهل يتركون الجسد المنهوك اللاهث الدامى ليستريح . هذه الراحة التى لم تدخل لهم فى بال ولا هى مستحبة من اى من الأطراف .

فاستأنفوا عملهم ، وقاموا بما ظنـوه واجبا مقدسا . وحتى الجريمة عند المجرمين ، يجدون لها تبريرا ، وتسمى عنـدهم واجبا . بها يشيدون ولا يعدمون الذين يشجعون ويؤيدون .

بعد الجلد اجتمع على الرب فى دار الولاية كل الكتيبة . فعروه ، والبسوه رداء قرمزيا وضفروا اكليلا من شوك ووضعوه على راسه ، ثم جعلوه يمسك قصبة فى يمينه . خلعوا عليه كل ملابس الملك ، لكن فى زى الهوان واسلوبه . ومع انهم اشبعوا رغبتهم فى التنكيل بالذى قالها واضحة وصريحة (مملكتى ليست من هذا العالم) لكنهم فى الوقت عينة خدموا هذا الملك من حيث لا يدرون . وطريق ربنا الى قلوبنا ليملك عليها وفيها الى الأبد مقدار البذل ومدى الاحتمال ، من اجلنا .

كانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يامك اليهود . وبصقوا عليه واخذوا القصبة وضربوه بها على راسه حتى ينغرس الشوك فى راسه . ان الراس الذى نجا من آثار السياط ، لم ينج من تجريح هذه الضربات . بعد ذلك ماذا بقى من جسد الرب لم يدم ؟ بقيت اليدان والقدمان ، وهى الأجزاء التى ترك امرها لمسامير الصليب . وعلى ذلك يكون تصورنا للصليب تصورا حقيقيا حين نقول عنه انه كان جرحا داميا متصلا فى جميع أجزاء الجسد المبارك .

وحمل الصليب

اما الآن فقد تجهز الصليب . وبقى أن يرتفع الذبيح عليه وفى مكان الذبح

حمل الرب الصليب . وخرج به من دار الولاية . لقد حمل صليبى الثقيل ، وعارى المرير .

كان الطريق طويلا . واذا اضفنا عامل الانهاك والاجهاد الذى حل بالجسد المعذب نخلص بأن الطريق من الناحية العملية كان طويلا جدا .. كانه بلا نهاية .

تصدر الرب الذى يحمل الصليب المشهد ، ولقد كان فى تنفسه لاهثا ، وفى جسده داميا . فضلا عن العرق الذى تصببه من البقية الباقية من الجلد . ومع ما يستحقه الموقف من رثاء الا أن الناس ضنوا على الرب حتى بهذا النوع من الاشفاق . وسار هكذا فى شوارع المدينة المقدسة ودروبها . فابكى عذارى أورشليم وبناتها . وفى صفحة من التاريخ الحى للبشرية ، رسمت صورة لهذا المشهد هزت ضمير الانسانية وما زالت تهزه . وستظل هذه الصورة العالقة فى اذهاننا ومشاعرنا ، سبب نحيب وبكاء جميع التائبين ، اليها انجذب البشر من كل الأجناس ، وبفاعليتها انصهر جمود الحس ، ورق القلب الصخر .

تحت الصليب الثقيل تكرر سقوط الرب ، كما تكررت محاولته فى القيام بحمله . فبرز من الناس شخص يدافع من النخوة والشهامة ، تقدم ، وخلف الرب انحنى ، وحمل الجزء الخلفى من الصليب ، مخففا عن الرب ومساعدا . لقد كان هذا الشخص الفريد سمعان القيروانى .. ولا نظن الترجيح صادقا ، ان هذا العمل كان تكليفا له من غير أن تكون له رغبة فيه . لكن الأقرب الى الصواب ، انه العمل الذى صادف هوى عنده . ونميل الى الترجيح أن للسيدة البارة مريم ام مرقس دورا فى هذا العمل . لأن سمعان القيروانى هو من نفس المدينة التى

انحدرت منها اسرتها . ونظنها — اذ لم تجد احدا من اتباع يسوع يعينه فى حمل الصليب ـ شجعت سمعان ودفعته الى ذلك .

وان كنا نشيد بشهامة سمعان ، فاننا فى نفس الوقت نحس برغبة فى التشبه به . وان كنا نرى أن الحادث فى ماديته لايتكرر، لكن صورا أخرى من الصليب ، تتصل بالرب وبمجده تحتاج الى العضلات القوية فى النخوة والشهامة والاستقامة . وهنا فقط تتكرر قصة سمعان ، ويكتب لها الاستمرار والخلود .

- ٥ -

على الصليب

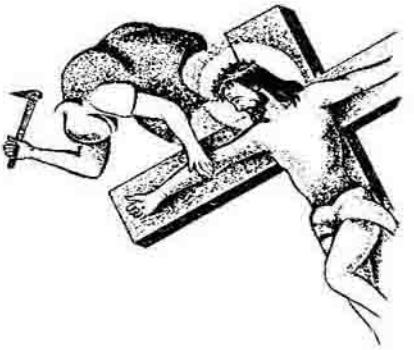

على الصليب

يامن فى اليوم السادس وفى الساعة السادسة سمرت على الصليب من اجل الخطية التى تجرأ عليها ابونا آدم فى الفردوس ، مزق صك خطايانا أيها المسيح الهنا وخلصنا (عن الاجبية) .

سمروه وعلقوه

ولما مضوا به الى الموضع الذى يدعى جمجمة صلبوه هناك . (لو ٢٣ : ٣٢)

وصلبوا معه لصين واحدا عن يمينه وآخر عن يساره (مر ٢٥ : ٢٧)

تتشح الكنيسة فى ذكرى هذا اليوم العظيم بالسواد . وهو ترتيب تعتيه الكنيسة . فكما أكل القدامى خروف الفصح على أعشاب مرة ، هكذا نحن ابناء كنيسة العهد الجديد ، بمرارة الندم والألم ، وبخوف مقدس نقترب من موضع الحب والبذل ، حيث صلبوا ربنا وحبيبنا يسوع .

بعد الرحلة المضنية ، انتهت المسيرة القاسية بربنا فى موضع الجمجمة اى الجلجثة . وهنا فقط انطرح الصليب الثقيل عن ظهر ربنا ، ووقف الكيان المنهوك يرتعش وينتظر الجولة الاخيرة من الصليب . على ان الشر ببواعثه الانسانية لا يعدم دعاة له ، حتى وسط القساوة والفوغائية . قدموا اليه خلا ممزوجا

بمرارة . والهدف من اعطاء جرعة الخل الممزوج بمرارة ، انها تهب شاربها نوعا من التخدير . فلا يعانى المصلوب من آلام الصليب بكل حسه ووعيه . كان حسنا أن يقدموا للرب هذه الخدمة . لكن الرب بمجرد أن ذاقها رفضها . لأنه ليس فى برنامجه أن تنقص هذه الآلام ، أو ينجو من حسها بأى وسيلة من الوسائل .

طرحوا الرب بجسده الذى مزقته الجلدات ، وانهكه السهر والجهاد والتعبير . طول الليل وغرة النهار . طرحوا الجسد الدامى وشدوه شدا غليظا وقيدوه الى خشبة العار بالمسامير فى يديه ورجليه . وانا نعلم فى يقين ووضوح ، انه لا توجد قوة فى الارض تستطيع أن تفرض على الرب الصليب ، أو يمكنها أن تربطه اليه ، لو لم يتقيد اليه بحبال الطاعة المثالية للآب ، ولو لم ينجذب اليه بالمحبة الأبدية التى أحبنا بها .

ثم حفروا حفرة فى الأرض . وعمقوا الحفر الى باطنها . ورفعوا الصليب المعلق عليه الرب ، واهتز وتأرجح بين الحاملين . فقد كان اثقل من احتمالهم فى الاتزان . ثم هبطوا به من غير رفق فى الحفرة العميقة ، وجعلوه يهبط بثقله الى اعماق الهوة ، حتى اذا اصطدم بقاعها ، مزقت المسامير انسجة اليدين والقدمين . بعد ذلك ملأوا فراغات الحفرة ببعض الأحجار حتى لا يميل يمينا او شمالا . فى هذه اللحظة كان النهار قد انتصف .

استغاثة قديمة ، انبعثت من قلب الانسان مع آهاته وأناته . عانى الانسان من تسلط التجربة عليه وعدم احتماله للمقاومة . وعبر عن قسوة هذه التجربة فى صلاته (اين ترعى اين ترعى اين تربض عند الظهيرة) . والجواب على هذا الاستفهام

والاستغاثة أن الرب يسوع وقت الظهيرة كان معلقا على الصليب وظل الصليب هو مكان التجأ الذين اضناهم المجرب بتجاربه وحروبه . وليس هنـاك مكان أقرب من ظل الصليب لكل المجربين، كما انه المكان الفريد ، الذى تجتمع له أسباب المعونة والتعزية لـكل منكوب ومهـزوم ، ومطارد ومظلوم .

بأمر بيلاطس كتبت لافتة علقت على الصليب . أراد بها تجريح اليهود والاستهزاء بهم . وان كانت فى ظاهرها تحمل عنوانا لعلة الرب (يسـوع الناصرى ملك اليهـود) . كتبت بالعبرانية واليونانية واللاتينية . ورأ هذه اللافتة كثيرون . واعترف بيلاطس وهو لا يدرى أن يسوع هو ملك الملوك ورب الارباب وقد تسجل ذلك فى جميع اللغات ولجميع الأجناس . فهل هو ملك بصليبه أم هو ملك رغم صليبه .؟ اعترف بهـذا الملك الناطقون باللغة اليونانية ، اللغة التى يتداولها ويفهمها المفكرون الاغريق ومن كان على شاكلتهم من العلماء ، واعترف بهذا الملك ايضا الناطقون باللغة الرومانية (اللاتينية) . وهى اللغـة التى يفهمها السـادة السـاسـة الأقـوياء من الرومان واصحاب السـلطان ، وايضا اعترف بهذا الملك الناطقون باللغة العبرية . اللغة التى يتعامل بها رجال الدين فى ذلك الزمان والذين اؤتمنوا على الناموس . فهو ملك بأعتراف الجميع على الجميع ، عال فوق الكل ، لكن ملكه سيظل ابدا ليس من هذا العالم . يسـود عليه من غير أن ينزل اليه أو الى مستواه .

اقتسموا الثياب واقترعوا على الرداء :

اوكلت حراسـة الرب الى اربعة من الجنـود الرومان . وقاموا بهذه المهمة من قصر بيلاطس الى المكان الذى صلب فيه الرب . ومن الاصول المرعية والمعمول بها ، أن كل ما كان يحمله المصلوب تؤول ملكيته الى الجنود الأربعة . والرب كان يلبس

ثوبا داخليا ، ومنطقة يتمنطق بها ، ووشاحا على رأسه ، وحذاء فى رجليه ... وايضا كان يملك رداءا منسوجا . أمكن للجند ان يقتسموا فيما بينهم الأمتعة الأربعة الاولى . أما الخامس منها ، وهو الرداء ، فلم يقبلوا ان يقسموه لئلا يفقد قيمته فاقترعوا عليه ، فكان من نصيب أحدهم .

وللرداء قصة . يقولون عنه أنه كان هدية العذراء القديسة مريم للرب يسوع المسيح ، حين خرج الي الخدمة العامة مساهمة منها فى النفقات الكبيرة التى سوف يتكلفها الرب فى حياته . قد صنعت هذا الرداء بيديها ، ليكون مع الرب .. فى النهار سترا يلبسه ، وفى الشتاء غطاء يدفئه ، وفى ليالى الصيف يطوى ليكون وسادة تتوسدها الرأس التى لم تعرف الراحة بين الناس .

وهذا الرداء نفسه يحمل معنى وظيفة الرب الكهنوتية . وكما ان الجنود لم يقبلوا تمزيق الرداء ، فأيضا ان وظيفة ربنا ، من حيث أنه رئيس كهنة أعظم من كل وظائف الناس ، لم يستطع أحد أن يقترب منها أو يعطلها بعض الشىء .

معنى ذلك ان الرب ارتفع فوق الصليب العالى ، وعلى مشهد من الجميع عاريا متجردا . وهذه الحقيقة من الأهمية والخطورة بحيث لا نستطيع ان نعبر امامها عبورا سهلا من غير ان نتأنى ونتامل حقيقتها . نظنه ظنا واقعيا ، حين نقرر أن هذا التجرد من ناحية الرب ، كأنه يرفض كل ما لصق به من صناعة الناس ، فلأنهم رفضوه ، فهو أيضا رفض كل شىء يتصل بهم حتى الملابس . وما أقرب هذا المعنى الى الوصية التى قالها الرب لتلاميذه ، بأنهم بالنسبة للمدن والبيوت التى ترفضهم ، عليهم ان ينفضوا الغبار من أحذيتهم .. وبعد ذلك ليتحمل أولئك

مسئولية رفض الانجيل والكرازة به . ولا يغير من القضية كونهم رفضوا المسيح الرب او رفضوا تلاميذه وخدام الكلمة المرسلين من قبله .

ولا ننسى ان العرى كان أول ثمار السقوط ، واقسى ما تعرض له الانسان . ونحن جميعا لا ننشغل بشاغل مثلما ننشغل بالكساء والستر .. اعلنا نطوى فى الظلام مالا نشتهى له الوضوح والعلانية .. اما الرب المصلوب فقد كان الموقف معه مختلفا تماما . فمن خلال عرى الرب وتجرده على الصليب تستطيع البشرية فى كل الاجيال ان تلتقى بالحق واضحا وعاريا . وان استطعنا الاحصاء من غير اخطاء التهويل او اخطاء التهوين ؛ فلابد للحق ان يشرق بأضواء خاطفة من كل جرح ينزف ، ومن كل عرق ينبض ، ومن كل انة مكبوتة ، او آهة مسموعة .. لم يخش الرب عريا او تجردا .. فانتصب صليبه وحيدا مفردا .. ليظل الى الابد (أبيض واحمر .. ومعلم بين ربوة) .

كان الجنود الاربعة تحت الصليب ، ولابد ان رذاذ الدم الذى انتشر وانتشر من جروح الرب المصلوب ، قد اصابهم . لكنهم كانوا فى مشغولية عن الرب وعن عمله العظيم .. كانوا مشغولين بكل مالا يتصل بالرب او بخلاصه . ففوتوا على انفسهم افضل الفرص واقدسها .. مسكين الانسان حين يغفل او حين يجهل ..

الاستهزاء وغرضه :

ثلاث طوائف اتفقت فى الاستهزاء بالرب كان الكأس المر لم يكن قد استوفى مرارته ، فارادوا ان يضيفوا اليه علقما جديدا .

كان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين ياناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك .

كما استهزأ بالرب رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ . قالوا عن الرب « خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها . ان كان هو ملك اسرائيل فلينزل الآن عن الصليب » ..

وقد استهزأ أيضا بالرب اللصان اللذان صلبا معه ... لانهما كانا أيضا يعيرانه .

ومن خلال الاستهزاء انطلقت دعوة للرب ان يخلص نفسه من الصليب ، وأن ينزل عنه .. وابدى الجميع استعدادهم بأن يؤمنوا بالرب لو انه نزل عن الصليب . والغرض في ظاهره لطيف وجميل . وينطوى على مكاسب .

وفى شيء من التانى والتمهل نكتشف أن هـذا الكلام هو نفسه ما انطوت عليه التجارب على جبل التجربة ، حين حاول المجرب ان يجرب ابن الله على مدى اربعين يوما . وهو نفس المعنى الذى نستخلصه من كلام بطرس حين قال للرب حاشاك وهو يريد أن يبعد ظل الصليب عن الرب ، وعن اتباع الرب من التلاميذ والمؤمنين .

لم يحس الشيطان الحيرة يوما ، كما احسها وهو يواجه ابن الله ويحاول حربه . فبينما يقوم باثارة الناس والرؤساء كى يجهز على الرب بالصليب باكثر سرعة ، فانه الآن يعود ويرجو من الرب على فم الرؤساء ان ينزل عن الصليب .. والأمر جد محير . فأين الخير والراحة لعدو الخير . ان يقطع الرب من ارض الأحياء ؟ أم ان ينزل الرب عن الصليب ؟. وفى الحالين كان هذا العدو هو صاحب الشقاء .

ان مجرد وجود الرب فى العالم ، بكماله وجماله ومثاله ، كان ثقلا على الحية القديمة ، لا تطيقه ولا تحتمله .

.. وحين ارتفع الرب على الصليب ، وتلامس عدو الخلاص مع النتائج الفعالة للصليب فى خلاص البشر من سلطانه وملكيته ، اكتشف ان الأمر ابعد خطرا على سلطان الظلمة ، فكيف يفوت على الانسان هذه الفرصة الذهبية من الخلاص .. والطريق اقصر الطريق وأمثله هو ان ينزل الرب عن الصليب ، فهل يتنازل الرب عن هذا العرش الفريد ..؟ لذلك عرض الشيطان بلسان اتباعه ، ومع العرض ابدى استعدادا للعطاء . انه عرض للصلح والسلام (فى لغة الشيطان) . ولا بأس عند الشيطان أن يعايش ابن الله ، وان يسلم له ملك الأرض .. وليست له مشروط فى ذلك أو مطالب ، انما يقدم خدمة ، ان يوفر على الرب وعلى اتباعه تكاليف الصليب .. فما المانع اذن ان يتنازل الرب عن الصليب ، فينزل عنه ..؟ لكن الرب صمت صمته الذى تعودناه . وفى ارجاء الظلمة كان يتردد صوت ابن الله (اذهب عنى يا شيطان) .

يا ابتاه اغفر لهم :

لم يبق امام الصالبين شىء آخر يمكن ان يضيفوه الى آلام الرب وعذابه .. قد اكملوا الكأس وشربها الرب بالتمام . ومن الأسباب التى جعلت الرب حزينا الى الموت ، أن الناس الذين جاء اليهم من اجل خلاصهم ، جعلوا من الصليب وسيلة عقابهم .. ورغم كل الظروف حافظ الرب على خدمته التى تهدف ان توفر للجميع الحياة الأفضل . لذلك كان لابد للرب أن يضع جانبا احساسه بآلامه وعاره ، ثم نظر الى الفئة المظلومة من احقادها ودوافعها ، فأشفق عليهم ايما اشفاق .. ونادى الابن أباه بما

له من دالة وسلطان ، (يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون) .

لا يقلل من فائدة هذه الصلاة كون الذين رفعت من اجلهم رفضوا الاستفادة منها . ورغم أن غفران ربنا يكون رصيدا ضخما، يغطى اخطاء الناس جميعا ، الا أن الذين رفضوا التوبة ، قد اختاروا الحرمان من حقوقهم فى هذا الرصيد . وهم بذلك يقدمون الدليل على ان الدينونة هى فى الواقع من اختيار الانسان ان لم تكن من صناعته .

لسنا ننكر ان الرب المصلوب طلب من الآب غفرانا لصالبيه ، الا أننا نقرر أن هذه الصلاة لا تعفى اليهود فى كل زمان من وزر الصليب ، وسفك دم البرىء . ان الرب فى صلاته بطلب الغفران ، اعلن تنازله عن حقه الشخصى باعتباره المظلوم والمجنى عليه ؛ حتى لا يتعطل خلاص النفس فيما لو تابت . ولا يغير من الموقف كون هذه النفس اشتركت فى جريمة الصليب ، فالرب مستعد ان يغفر لها اذا آمنت وتابت عن جريمتها .

أما الانسان اليهودى الذى ما زال يهوديا ؛ فانه ينصرف عليه الحكم الذى حكم به جدوده (دمه علينا وعلى أولادنا) . ذلك لأن التمسك باليهودية معناه الأخذ بحكم الأجداد على يسوع الناصرى، بأنه رجل خطر وخاطىء وفاعل شر ، مجدف ومستحق للموت ، وادعى أنه مسيح ملك . إن الاعتقاد باليهودية دينا معناه الاعتقاد أن يسوع ليس هو المسيح .. وعلى ذلك كما حكم الأجداد على يسوع الناصرى ، يحكم الأحفاد على الناصرى بنفس الحكم . فيحكم عليهم التاريخ بأنهم ليسوا ابرياء من دم البار .

ثورة فى الطبيعة وظلام دامس :

من الساعة الثانية عشرة ظهرا الى الساعة الثالثة بعد الظهر كانت ظلمة على الأرض . الارض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت .. ظواهر طبيعية ان اردنا لها تفسيرا طبيعيا،فلن نجد لها تفسيرا غير ان شيئا ما يحدث فى الطبيعة ، تحركه خيوط غير منظورة ، واصابع قديرة .

اصاب الطبيعة نوع من الثورة أو انها ارادت أن تعبر عن غضبها وعدم ارتياحها بأسلوبها فى التعبير . كأنها تريد ان تقول ان الصليب الذى أعده الناس ببساطة للابن الوحيد ، عمل يستحق الاحتجاج عليه والتظاهر ضده . وثورة الطبيعة ، كان اسلوبها فى الاحتجاج .

اما انالطبيعة قد احست ان الانسان قد بلغ بخطيته غاية المدى حين رفع ابن الله على الصليب . وها جام غضب الله ينصب على هامة الابن ، والعدالة تستوفى حقها كاملا من الرب يسوع المسيح . الوسيط بين الله والناس ، .. وواضح الآن ان ساعة الصليب هى ساعة دينونة حقيقية ، فى كامل المعنى بلا ادنى مجاز ، لذلك لبست الطبيعة رداءها الذى اعده لها الرب الاله يوم الدينونة العظيم . لذلك فابان تلك الثورة اصطكت الاسنان ، وارتعشت المفاصل ، واهتزت القامات ، والتمس كل انسان الحماية والملجأ ، فلم يجد . وبدا الخوف واضحا ، والرغبة فى الهرب ملحة ، لكن الى اين .. ؟

وظاهرة اخرى حدثت لا تقل اهمية عن الثورة فى الطبيعة .

ذلك أن حجاب الهيكل انشق من أعلى الى أسفل . وهذه الحادثة هى أيضا ثورة فى عالم المسلمات اليهودية . بمعنى أن هذا الحجاب لم يعد صالحا للغرض الذى أقيم لأجله .. لقد انقشع الستار الذى يفصل بين قدس الأقداس وبين القدس . وذابت الحواجز التى فصلت السماء عن الأرض . ولم تعد صلة الاله بالناس قصرا على طائفة أو على شعب دون شعب . لقد انشق الحجاب واصبح من حق الجميع ان يقبلوا الى الأب بسم الابن الوحيد . وللجميع حق نداء الأب بالخطاب (يا أبا الأب) ويا (أبانا الذى فى السموات) .

بالصليب فقط امكن اذابة الجمود الذى أصاب العلاقة بين الانسان وخالقه . عاد الاله الى الانسان محتضنا وعاد الانسان الى الهه نادما . ومبارك الرب المصلوب الذى صنع بصليبه عرسا ، وحضر الانسان باستحقاق الابن عشاء العرس ..

اذكرنى يا رب :

« لما ابصر اللص رئيس الحياة معلقا ، قال لولا أن المصلوب معنا اله متجسد ما كانت الشمس اخفت شعاعها ولا الارض ماجت مرتعدة ، لكن أيها القادر على كل شىء والمحتمل كل شىء اذكرنى يا رب اذا جئت فى ملكوتك » . (عن صلاة الأجبية) .

أن اللص اليمين كان لصا منذ البداءة . ولم يتغير شىء من طبيعته حين صلبوه مستحقا لعقوبة الصلب عن يمين الرب . وقد اشترك مع اللص اليسار فى الاستهزاء بالرب فى بداءة الصليب .

أما الآن ، فان شيئا عجيبا يجرى سريا وفى داخل هذا اللص العجيب . انه أمر فوق الادراك العقلى والقياس المنطقى . انه

الآن يرى فى الرب غير ما يراه جميع الناس .. ومن خلال الآلام والهزيمة امام الأعداء ، يراه ربا مجيدا .. سلطانه أقوى من اعدائه ، وملكه ابعد مدى من الأرض والسموات . ان قلنا عن توبتك ايها اللص انها معجزة النعمة واستطاعتها المباركة فى الانسان ، لكن مطوب انت ايها اللص ، لأنك استجبت لنداء النعمة ، وخضعت لكل سلطانها ، فى وقت كنت قد بلغت ضعفا نفسيا وجسميا ، ويأسا ونفاذ صبر .. مما يجعلنا نقطع انك قد اجتزت معركة من العناء والجهاد الروحى ، تشهد لصبرك ، وتمسكك .. لذلك سمحت نعمة الله مكافاة لك ، أن ينضج ايمانك فى لحظة ، الى ابعد الحدود . فتوسلت الى الرب فى ذلة التوبة ، وثقة الرجاء وقوة الاعتراف (اذكرنى يا رب اذا جئت فى ملكوتك) . فاجابك الرب (اليوم تكون معى فى الفردوس) .

على ان التقليد الموثوق به ينقل الينا قصة عن اللص اليمين .

يقولون ان لهذا اللص لقاء سابقا مع الرب . ولقد كان ذلك حين كانت العائلة المقدسة فى طريقها الى مصر هاربة من وجه هيرودس . فى سيناء فقد تعرضت العائلة لهجوم واعتراض بعض اللصوص . ولم ينقذها من شر محقق غير ابن رئيس العصابة الا وهو ديماس . فلقد جذبه منظر الطفل يسوع ، وانجذب الى جماله . وبعد ان انسحب اللصوص لأن ديماس لم يوافقهم على اى شر يصيب هذه الأسرة توجه ديماس ابن رئيس الجماعة الى الطفل يسوع بقوله « الا ايها الطفل المتميز بالبركة ، اكثر من جميع الأطفال .. حين تأتى ساعة احتاج فيها الى نعمتك ، اذكرنى ولا تنسى هذه اللحظات » .

ان صدقت هذه الرواية ، واغلب الظن انها صادقة ، ان ربنا يسوع لم ينس عمل اللص كما انه لم ينس طلبته . فاحتفظ

له بهما فى احسن مكان فى قلبه المبارك . وفى الوقت المعين جعل منه سارقا للحياة الابدية ! !

على اننا لا ننسى ان صلاة الرب من اجل اعدائه تركت فى قلب اللص اثرا لا نستهين به . انها صلاة ادهشته ، فاعجزته ، فانطقته بالاعتراف والتوبة ..

لماذا تركتنى :

ما زالت الارض تلبس رداء الحداد ، ويلفها ظلام قاتم .

ايها الابن الازلى اكليلك من البهاء وعلى راسك تاج من الكرامة والمجد . القداسة تستمد روعتها لانها تصدر عنك ، والطهارة تتزين بنقائك لان نبعتها هو من قلبك . وتكتسب كل فضيلة امتيازها ، لانها تنتسب الى شخصك . ماذا بك يا ابن الله . وماذا دفعك الى النداء (الهى الهى لماذا تركتنى) .

لنذهب مع الابن الى ما هو ابعد من حوادث الصليب المنظورة . ولنركع امام العليقة التى تشتعل بالنار ولا تحترق . فهل يسمح لنا بأن نرى المشهد من نواحيه السرية .. ؟ الا ان الرب سمح لنا ان نرى بعضه من خلال آنات ابن الله وعرقه فى البستان . وان قول الرب (نفسى حزينة جدا حتى الموت) كانه مفتاح السر .. او هو المؤشر الى حقيقة آلام ربنا .

احد الاسلحة التى اشهرها الرب امام التجربة والمجرب ، وفى معركة الصليب ، هو سلاح كلمة الله . ويكشف لنا هذه الحقيقة انفراد ربنا على الجبل على مدى اربعين يوما من الصوم المتصل . وهناك استخدم الرب كلمته الحية جوابا مفحما للعدو

فى كل محاولاته المتكررة . وانا نحسب المزامير كلمة الله المكتوبة والمنطوقة ، كانت تلاوة الرب اثناء آلامه المبرحة . لذلك لانستغرب على الرب ان ينطق المزمور الثانى والعشرين ، وبعد ذلك ترك الحوادث التى اتصلت بالصليب تنطق ببقية المزمور .. الا ان النداء نفسه ، له دلالة اخرى تضاف الى هذا التأمل .. ولا نشك لحظة انه تعبير صحيح عن نوع الألم ومداه ، الذى عاناه ربنا فى الصليب .

ان الآب فى الابن ، والابن فى الآب .. فى وحدة ازلية والى ابد الآبدين . حقيقة لا يختلف عليها اثنان من المؤمنين بتجسد الابن الكلمة الأزلى . وبالتجسد قبل الابن ان يخلى نفسه وان ينزل عن امجاده .. لكنه لم يفقد مجده او حقه فى هذا المجد . (ابن الانسان الذى هو فى السماء) .

لبس جسد البشر كاملا واصبح فى الهيئة انسانا .. بل وعبدا .. والله الآب له اله .. لكنه لم يفقد مقامه الازلى كابن وكاله فهو انسان الله ، وهو ايضا اله متأنس . انه نائبنا العزيز ووسيطنا المبارك . يسوع المسيح الذى اخذ مكاننا فى كل شىء .. حتى فى الخطية واستحقاقها ، مع انه لم يعرف خطية .. ونعلم ان اشر ما تعرض له الخاطىء ، وعانى منه الأمرين ، نتيجة للنعدى هو الانفصال عن الرب الاله .. وكان لا بد للابن المبارك أن يجوز هذا الاختبار والاحساس . مع انه لا يمكن ان ينفصل عن الآب .. ذاق الرب عنا مرارة الانفصال عن الله وهو فى نفس الوقت فى وحدة ازلية ابدية مع الآب . ويقرب هذه الحقيقة تمسك الابن بوالده ، بينما يعمل مبضع الجراح فى جسد الابن البض . ونسمع من الابن استغاثته بأبيه (لماذا تركتنى) مع ان الوالد لم يفارق ابنه

ولم ينفصل عنه . ومع وجود هـذه الوحدة ، فانها لم تتدخل لتمنع هذا النوع من الالم .

ولاحساس الرب الرقيق والدقيق ، كان هذا امرا لا يطاق ، لانه يتعارض مع القدوس البار . لذلك استغاث ابن الله بأبيه (الهى الهى لماذا تركتنى) وهو فيما قد تألم مجربا يقدر ان يعين المجربين ايضا .

ان نداء الرب واستغاثته بالاب كان ايذانا للطبيعة ان تعود الى حالتهـا الاولى . هدأت العاصـفة وسـكنت الزلازل ، ونزع الظلام رداءه عن العالم فأعطت الشمس نورها من جديد . واقتربنا من السـاعة الثالثة بعد الظهر أو اننا الآن فى ختامها .

وعلى ذلك نستطيع القول ان هذه السـاعات الثلاث ، كانت اعنف واقسى ما جازه الرب من آلام مبرحة . وعلى هامة الرب انصبت الدينونة التى يستحقها سكان العالم اجمع منذ الخليقة الى يوم الدينونة العظيم .

انصبت على رأس ابن الله . ولولا ان المصلوب هو ابن الله المبارك ، اللانهائى فى قدرته ، واللانهائى فى احتماله ، لسحقته الدينونة سحقا . اى كائن ، كائنا من كان ، حتى لو كان رئيس ملائكة ، لم يكن ممكنا أن يجوز هذه المعصرة ، ويخرج منها ظافرا منتصرا كما خرج منها ابن الله الحى الى الأبد ، الذى ظفر بالموت ، والقى القيود حول رئيس هذا العالم .

وعلى ذلك لسـنا نبتعد عن الحقيقة حين نقرر أن نداء ربنا واستغاثته بالآب (الهى الهى) هو فى الواقع ايذان بأن العـدل

استوفى حقه بالكامل من الرب . ودان الرب الخطية فى جسده المقدس وعندئذ انقشعت الظلمة ، وسكنت الطبيعة . (بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل) .

ظنوه يستغيث بايليا ..

وانهم لفقراء فى كل ما ظنوه او فعلوه .

والآن فقد انفتح باب الرجاء واسعا أمام كل انسان بعد أن رأى يسوع أن كل شيء قد كمل . وحتى الذين اشتركوا فى جريمة الصليب ، ودبروها بكافة الأساليب الملتوية ... سواء بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر .. أمام الجميع انفتح باب الخلاص وسيظل مفتوحا . فمن يستطيع الدخول قبل أن يغلق الباب .. ؟

- ٦ -

اللحظات الأخيرة

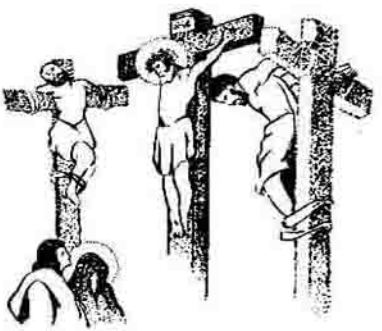

اللحظات الاخيرة

هوذا ابنك :

شخصية واحدة مفردة استحقت من الرب أن ينظر اليها ويرعى شئونها ، وسط الأشجان والأحزان . شخصية مفردة ، لم يكن ممكنا للألم الذى أحاط بربنا أن يمنع ربنا او يشغله عن الاهتمام بها . انها العذراء الأم ... دائمة البتولية مريم .

للعذراء مقام كبير فى قلب ابنها الوحيد . ولهذا الاهتمام، فان الرب وهو على الصليب لا ينشغل مثلما ينشغل بالعذراء الأم. لن ينسى الرب ما بذلت وما احتملت .. حتى اذا ما عاد الى الشمس نورها وأمكنت الرؤيا ، كانت العذراء ما زالت تحت الصليب ، قد جاز السيف فى قلبها ، واستندت الى يوحنا الحبيب من فرط الاعياء وفرط الالم . لأنه لم يكن قريبا من الرب فى آلامه ومعاناته ، حسا وتقديرا غير قلب الأم ... التى ادماها الالم اكثر مما ابكاها .

وفى نفس الوقت نجد أن الرب يذكر ليوحنا الحبيب أنه التلميذ الوحيد الذى لم يترك سيده فى أحرج ساعات الصليب . وان كانت الأم العذراء بركة لمن تكون معه ، فان التلميذ الحبيب هو المستحق لهذه البركة العظيمة . ويترك الرب وصيته وهو على الصليب بقوله (فلما راى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يسوع

يحبه واقفا قال لأمه يا امراة هوذا ابنك ، ثم قال للتلميذ هوذا أمك . ومن تلك الساعة اخذها التلميذ الى خاصته) .

لعله مما يثير الانتباه ، ان الرب يوصى العذراء ان تكون تحت وصاية يوحنا الحبيب ورعايته . مع أنها ليست خلوا من الأقرباء ، او ان يسوع لم يكن خلوا من الأقرباء حسب الجسد . والجواب على ذلك نستمع اليه كأنه تنطق به العذراء مريم ، العرش الذى جلس عليه ملك الملوك ورب الأرباب ، ظل مقدسا للرب وحده . وابنى يسوع كفانى فى بنوته عن ربوات البنين . بل فى يسوع ابنى انا ام لجميع المؤمنين . كل هذه حقائق واضحة وضوح النور .. لا تحتاج الى دليل كما لا تحتاج الى تحليل .

طوباك يا يوحنا ، فانك ملكت العذراء اما .. بل طوباك ايها المؤمن فانك قد صرت لها ابنا . لك عليها حقوق الابن ، وفاض منها نحوك عواطف الأم وحبها وسهرها .

انا عطشان :

الصليب حقيقة مادية تاريخية .

وهو ايضا حقيقة روحية نفسية .

لذلك ازدوج الصليب فى باسه على الرب ، لأن الصليب ازدوج فى نوع آلامه . على ان الجانب النفسى والروحى ضاعف من الاحساس بالجانب المادى الجسمانى .

جف فم الرب ولصق لسانه بحلقه .

لعل سبب العطش والألم وتعرض الجسد العارى للشمس، وللفحة الهواء العاصف . ونضيف الى ذلك سببا آخر . وهو ان

الرب اصابته الجلدات واكليل الشوك ومسامير الصليب ، بجروح ظلت مكان نزف متصل .. وفقد الجسد كمية كبيرة من الدم ومن السائل الذى يجرى ويدور فى الجسم . وعبر الجسم تعبيرا فسيولوجيا عن هذا النقص باحساس العطش . وجفاف الحلق .

هل كان ينتظر الرب من صالبيه أن يجد عندهم بقية باقية من العطف فيتطوع احدهم شفقة ورقة شعور ، ويأتيه بكأس ماء بارد .؟ لا نظن أن الرب كان يرجو ان يروى ظماه احد . والذى احتمل كل هذا الضيق الا يحتمل العطش أيضا .. ؟

كان لا بد للرب أن يعلن هذا الاعلان انه بلغ مبلغا من العطش، ينذر بالخطر وهو أيضا دليل عليه . واذا اردنا وصفا لهذا الاحساس ، فان قصة الغنى الذى دفن وكان فى الجحيم ، تعطينا فكرة عن هذا النوع من التعذيب ، لانه كان يرجو من ابراهيم أن يرسل اليه لعازر ليبل طرف لسانه من الماء ، لانه معذب فى اللهيب .. لذلك كان لا بد للرب ان يعلن عن مدى العذاب الذى قاساه نائبنا ووسيطنا من اجلنا .

للمرة الثانية يقدمون له خلا ممزوجا بمرارة . وفى حزم رفض الرب عطاءهم .

هل قدموا هذا الخل كمحاولة للتخدير وتخفيف الالم .. أم انهم قدموه امعانا فى الاذلال ؟ ولا يغير من الموقف انهم قصدوا هذا او قصدوا ذاك . والحق يشهد أن الرب كان فى حاجة الى الماء ولم يكن فى حاجة الى علقم جديد .

قـد أكمـل :

قـرانا عن العمـل الذى أكمل أولا فى الخلقة ، فأكملت السموات والأرض وكل جندها . ونقرأ عن الكمال فى سفر الرؤيا الذى يسجل حوادث آخر الايام . (وقال الجالس على العرش ها انا أصنع كل شيء جديدا . ثم قال لى قد تم . انا هو الالف والالياء ، البداية والنهاية) .

وبين الكمالين يبرز ويتميز كمال العمل الذى انجزه ربنا على الصليب ، حين نادى (قد اكمل) .

من اجـل كمال الخلقة التى اصابها الانســان فى صميمها بالتعدى كان الصليب ، وعلى أساس الصليب أمكن الكمال فى كل ما يعمل الرب جديدا فى الوعد العظيم باورشليم الجـديدة فى السماويات وفى السماء . والـكمال فى الصليب يتوسـط بين العملين العظيمين ، كالحلقة تتوسط بين الجمالين وتربط بينهما برباط واحد فى الغرض والدافع ، وتخلع عليهما بهاء ورونقا وطعما وعذوبة فى اختبار أولاد الله .

وضـع المهندس الأعظم تصميما للعمل العظيم الذى أوكل اليه ان ينفذه . ووضع تفصيلات الخطوات اللازمة التى يتبعها الرب فى كل مرحلة من مراحل تجسده المبارك . لذلك كانت كل دقيقة من حياة الرب فى الجسد ، ترتبط بترتيب سابق . وليس فى حياة الرب ما نسميه قيادة الظروف أو حتمية القدر .. انما يوجد تصميم سابق وتنفيذ حرفى لكل ما يجب أن يكون . وبلغ البرنامج كماله وجماله حين توج الرب بالمجد والبهاء على الصليب . والصليب هو أساس البناء العظيم كما هو الختام المبارك لأعظم عمل انجازى فى التاريخ المعروف وغير المعروف .

الصليب هو تجديد للبشرية من كل ناحية . وهو أسلوبها الجديد الذى اكتسبته من ربنا يسوع المسيح . واكتشاف الصليب هو فى حقيقة الأمر اكتشاف لفلسفته فى الحياة . وأصبح فى المؤمنين وسيلتهم الى النصرة ووسيلتهم الى الحياة الأبدية . وقياسا الى عمل ربنا العظيم على الصليب توزن أعمال الناس فى كل جيل وفى كل مجال . فتوصف تبعا لذلك بالنقص او العجز أو بالعدم .

بهذا النداء الخالد لمس الرب اللمسة الختامية المفردة فى المثال والكمال لعمله العظيم . ويرفع الغطاء عن روعة الكمال . اذ نعلم ان الرب لم يكن كافيا عنده أن يكون بارا قدوسا ، يقف من التاريخ العالى وقفة المنفرد فى بره وقداسته .. أو وقفة المنفرد فى القوة والسلطان على الطبيعة وعلى قوات الشر ، وعلى الأمراض وعلى الموت ... انما قد اكملت الصورة وبرزت معانيها ، فمست شغاف قلوبنا واشبعتها بهذا النداء العظيم (قد اكمل) . لانه النداء الذى وضع النقط على الحروف فى المعانى التى عناها الرب بقوله (ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه) .

اننا نعجب بالرب فى كل كمالاته . ونعجب بالأكثر بهذا الكمال فى الحب العظيم . بالصليب وعلى الصليب قد اكمل الرب عمله الحبى الذى لا مثال له ابدا . اروع صورة للتضحية ، يمكن أن يجرد بها الخيال والفن تقف امام تضحية الرب شوهاء وكلها عورات . قد اكملت يا رب عمل المحبة من اجلنا .

وجانب آخر من الصورة يتصل بالرب شخصيا .

فى كل ما تكلف الرب ، كان تكليفه كاملا ، كما كان أداؤه للثمن المطلوب كاملا .

فمن العار اخذ الرب نصيبا وافرا .. ابتداء من الاستهزاء الى اكليل الشوك الى ان علق على خشبة الصليب .. وملعون كل من علق على خشبة .

ومن الالم جاز الرب فى أوسع نطاق له كما فى اعمق احساس به . كل ما فى الرب نبع بالألم . وكل جزء من جسد الرب نضح بالدم .. وتمزقت انسجة الرب على الصليب .

وانصب جام الدينونة كلها فى غير تجزئة او رحمة على الرب . انصب دفعة واحدة بلا تقتير او تقسيط . وصار الرب من اجلنا خطية ..

وهل كان هينا ان تلتصق بالرب خطية الانسان فى قبحها وفى دنسها . انه أمر انتفض له الرب انتفاضا ، لكنه اطاع حتى الموت موت الصليب .

من هذه الناحية اكمل للرب الكاس التى أعطاه اياها الآب . وهو وحده الذى شربها حتى آخر قطرة . بالطاعة والسرور .

لا شك فى هذا . اننا كما أطلنا التفرس والتأمل فى صليب ابن الله ، تأكدت لنا ارادة الحب . الحب المتعبد المتأصل فى أفئدتنا . لك الشكر يا ابن الله ولك السجود والتعبد . فماذا نرد لك من أجل كل حسناتك .. فى لقاء هذا الفداء المجيد .

وصاح بصوت عظيم :

عودتنا الأيام أن نقبل الى تذكار الصليب المعظيم ، وتسبقنا اليه عواطف الالم والاحساس المتاسى على ما بذله ابن الله الحبيب من اجلنا على الصليب . انه شعور مبارك ويجب الا يفوتنا فى كل مرة نقرب افكارنا بالايمان الى ذبيحة ابن الله على خشبة الصليب. ولكن ماذا عن الرب ، هل كان نصيبه من الصليب كل هذا العناء الذى نراه ولا شيء آخر ..؟ ان الجواب على هذا السؤال هو كلا. لأن الكلام بان الرب صاح بصوت عظيم تعنى ان الصياح يحمل معنى الهتاف والتهليل والسرور .

ان صيحة الرب النهائية على الصليب تعنى الغلبة والانتصار . بل ان هذا هو المعنى الأعظم الذى يجب أن نقراه من خلال حوادث الصليب المقدس . ان الرب فى كل ما اطاع وقاسى، كان المنتصر الجبار ، وليس من الصدق فى شيء ان نؤجل معنى الانتصار الى ما بعد القيامة . لأن الذى كسر شوكة الموت ، هو نفسه الذى انتصر بالصليب نفس المعنى نقراه فى رؤيا يوحنا حين قال (لا تبك هوذا قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا اصل داود .. القائم وكانه مذبوح) .

مزيج غريب من المشاعر كانت فى نفس ربنا ومخلصنا يسوع المسيح .

فبينما كانت دموعه على خديه تنهمر ممتزجة بدمه ، كان فى أعماق قلبه يغنى اغنية المجد والتسبيح . الى هذا التسبيح يشير الرسول بولس بقوله (ناظرين الى رئيس الايمان ومكمله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع امامه احتمل الصليب مستهينا بالخزى فجلس فى يمين عرش الله) .

هذه الحقائق الايمانية هى اساس افتخارنا بالصليب المجيد. قوة الله للخلاص . بل ان الصليب فى شركة آلامه هو نقطة البدء فى شركة التهليل والسرور . ومن الصليب الذى تشع منه اضواء الحقائق الالهية ، نرسل انشودة الفرح والانتصار .

استودع روحى :

يا أبتاه فى يديك استودع روحى .

ما أن صاح الرب ابن الله بالصوت العظيم والقى فى مسامع الابدية هتاف الانتصار ، حتى تراصت جميع قوات السماء والأرض واصطفت فى ترتيب ملؤه الخشوع والتعبد . وسجدت باسم يسوع كل ما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض . لان الرب المنتصر هو المستحق لكل عبادة وسجود .

لعلنا نذكر نشيد الملائكة وهى تهتف للرب (المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة) . هذا النشيد ما زال يتردد قراره من الملائكة .. الا ان صوت النشيد الذى اعلنه الرب من الصليب قرب ختامه ، غطى على كل صوت آخر . لان بوق الهتاف قد أعطى للرب . بعد ذلك قال الرب (فى يديك ايها الاب استودع روحى) . الأمر الذى استقبلته السماء وما زالت قواتها فى حالة سجود للرب المعبود . (اما النعمة والحق فبيسوع صارا) .

بعيدا جدا عن المشهد المقدس تنحنى الحية القديمة ، متوجعه من جرحها المميت الذى طعنها به الرب بالصليب . واهتز عرش الشيطان ولم تعد له ملكية ممالك الأرض كما كان يدعى .

واصبح المفديون ملكا للرب الذى اشتراهم بدمه من كل أمة وقبيلة ولسان . خطبنا الرب عروسا له . ودفع المهر لنا بدمه الكريم .. ما اعظم المدفوع فى سلعة لا تستحق كل هذا الثمن . لكن ماذا نقول فى نبل ابن الله القدوس الذى ابى تقييمنا الا بدمه . لك المجد ايها الابن القدوس (الله لم يره احد قط . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الاب خبر) .

ونكس الرب راسه المجيد واسلم الروح .

- ٧ -

ونكّس الرأس

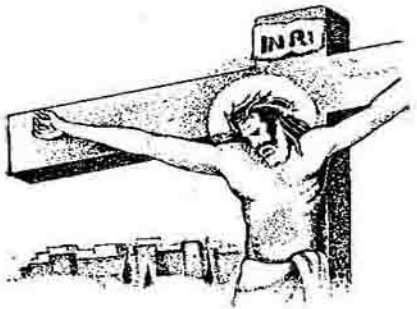

ونكس الرأس

كمن أجهده السعى المتواصل او الجرى اللاهث ، أسند راسه الى وسادة ، واستراح فى ملء السلام واغمض عينيه وأسلم الروح .

من خلال تأملنا فى جسد الرب المنهوك والراس المنكس ، تروعنا وتدهشنا مبادىء جديدة وسامية . متصلة بالصليب وقاصرة على المصلوب .

ان الرب الذى ارتفع درج الصليب ، وبقى عليه حتى الموت هو نفسه الذى صعد جبل التجلى ، وكشف الغطاء عن حقيقته وشع من داخل الرب نوره المجيد ، واستجاب الجسد المهان لهذا النور العظيم ، فأضاء وجه الرب كالشمس وكذا الجسم كله . ان هذا المجد لم يكن ليبلغ مداه فى اعيننا لو اننا لم نضع منظار الصليب على بصيرتنا . ان الصليب هو مفتاح السر لمجد ابن الله . هو نافذة فى جدار الزمن منها اطل الانسان على اسرار قلب الله . فى النعمة والحق .

لو ان محبة الله لم تطل علينا بالصليب والفداء ، فماذا كنا نعلم عن الرب ، وعن معاملاته . لا بد اننا نكون أقرب الى الجهل منا الى العلى بأى شىء . ولسنا نستبعد اننا ونحن فى الديجور من الظلام ، وأمام صدق الحاجة والحاحها ، اننا كنا نتوسل الى الله

بأن يتجسد ويصلب من أجلنا . وحتى يرفعنا من وهدة لا سبيل الى الخلاص منها سوى بالتجسد وما يتبع التجسد . وبناء على على هذا الاحتمال ، نرى السبب الذى انطوى على الحق فى بعض الأساطير ، والمخلفات الوثنية . فهى فى كل ما اشارت اليه بخصوص تجسد الآلهة أو ما سجلته من اساطير حول هذا التجسد ، انما كانت تعبر عن حاجة الانسان الى هذا التجسد ، وفى التجسد انعقد الأمل الوحيد الباقى امام البشرية .

يتولى الصليب ترجمة النظرات فى المبادىء والصفات التى تتصل بالرب الى أعمال ومعاملات . وعلى الصليب كملت الصورة فى الجمال ، وبلغت التضحية منتهى الجلال . بل حد الخيال .

هكذا مات الرب ونكس الراس . تلفه هالة المجد وتصدر منه اشعاعات المحبة . وفى الضعف البادى أعلن الرب عن قوته. وغدا المصلوب نبعا متصلا وسندا قويا للنعمة والحق .

وطعنـــوه :

أعدت للشمس أكفان الغروب . واصطبغ نورها باحمرار .

واليـوم التالى هو سبت . وجميـع الناس استعجلوا الحوادث . قبل مغيب الشمس .

واقبل أحد الجنود الى المشهد وتأكيدا للموت طعن الرب فى جنبه اليمين . طعنة نفذت ، فاخترقت أحشاء الرب ومعدته. وكبده وقلبه . ففاضت عصارة الأحشاء والعدة ، وهى سائل قريب الشبه من المـاء فى لونه وقوامه . وافرغ الكبد والقلب ما بقى فى جسد الرب من دماء لذلك فاض جنب الرب بالدم والماء.

أحيانا يمكن ان توجز الأعمال الكبيرة فى كلمات قليلة . وأوجز عمل الصليب كله فى كل تفصيلاته بنتائج هذه الطعنة الغائرة . بالدم والماء .

فالدم هو دم الكفارة والغفران . والماء هو ماء التطهير . ماء العمودية فى ولادة ثانية . ماء الغسل والنقاوة من جميع الأدران . فالصليب اذن هو وفاء للدين وهو أيضا تأكيد للحياة الظاهرة المقدسة بالدم والماء .

شكرا لك أيها الجندى . لأنك أعلنت صفة الاستمرار للخلاص الذى أعده الرب لنا . انه عمل ابتدأ ساعات العناء على الصليب واستمر ما بعد الموت . وما زال مستمرا . فهو خلاص أبدى بالدم والماء وفيه تكفير وتطهير لجميع الخطاة .

ان الحربة فتحت طريقا متسعا ومستقيما ، حتى أعماق قلب ابن الله . وكما اتسع حضنه بالصليب ليضمنى ، اتسع جنبه بالطعنة ليحتوينى . ولأظل الى الأبد فى قلبه ، موضوع عنايته وحمايته ، ولذته وهناك استريح من اتعابى ، ويمسح الرب كل دمعه من عينى .

بلغت الأخبار بيلاطس ، أن الرب مات . وادهشته سرعة الحوادث ، وكيف مات سريعا . وهو استغراب يستند الى الجهل بآلام الرب وعدم تقدير عمق جراحاته . والذين يذهبون مذهب بيلاطس ويحاولون تبرير موت الرب السريع لاسباب اخرى خارجة عن الصليب نفسه ، ينضمون الى بيلاطس فى سطحية تفكيره .

وعلى عكس ما ذهب بيلاطس نقول ان الصليب كان طويل الأمد . وكان أكثر من الاحتمال . ولولا العون الالهى ، ولولا ان المصلوب هو ابن الله ، لقضى الرب قبل ذلك بساعات . هل نسى بيلاطس ليلة طويلة ساهرة ، تقاذفت الرب أيدى الضاربين المستهزئين ..؟ أم نسى الجلد الذى أمر به ، وقام به جنده . وهذا الجلد بذاته يكفى ان يكون سببا للموت . وهل نسى الطريق الطويل الشاق ؟. فى أطول شوارع المدينة وأكثرها ازدحاما ..؟ وهو يحمل صليبا تحطمت تحته قوة الرب . أم نسى النزيف المتواصل للدم الكريم . على مدى اثنتى عشرة ساعة متصلة ، او ما يقرب من ذلك . هل نسى الرب وهو شبه عار ، يتقلب بين هبوب الريح وحرارة الشمس اللافحة . وهل نسى كل ذلك وما هو اعظم من ذلك ؟. لولا أن وراء الرب مهمة ، لاتمم الا بعد هذه الساعات الطويلة من المعاناة والمقاساة ، اذن لقضى الرب قبل ذلك بساعات .

نحن نعلم يقينا ان بيلاطس لم يكن على جهل بهذا كله . الا اننا نقول أن ايستفرابه لموت ربنا السريع لعله يرجع الى ان بيلاطس كان لا يستبعد ان يحدث أمر معجزى ، يغير مجرى الأمور ، ولعله كان ينتظر ان الرب الذى سمع عنه كل هذه القصص ، ان يقوم بعمل ما وينزل عن الصليب . فيقضى على أعدائه اليهود .

قائد المائة :

(وأما قائد المائة والذين معه يحرسون يسوع ، فلما رأوا الزلزلة وما كان خافوا جدا وقالوا حقا كان هذا ابن الله) .

حسبنا اعتراف قائد المائة ليشهد للصليب والمصلوب . وهى شهادة تقلب موازين الناس ، خصوصا اذا صدرت عن انسان قدس القوة .

وما هو البرهان الذى استند اليه قائد المائة بأن يسوع هو ابن الله ؟

هل قرأ فى الاستسلام الوديع رفعة لا تليق الا بابن الله ؟

ام أن غفران الرب والتماسه العذر لصالبيه نهض كمرآة وضحت فيها صورة وجوهر قلب ابن الله ؟

هل اعجزته ثورة الطبيعة ، وازعجته فى عنفها أم اذله الصليب ، واخضعه وجذبه ؟..

ومهما كانت الأسباب ، فانه يهمنا فى الدرجة الاولى اعترافه هذا الرجل ومن معه أن يسوع هو ابن الله .

للرب الذى نكس رأسه على الصليب قوة تذيب صلبه الحديد . وتفتت جلمود الصخر . قوة فوق تصور الانسان وادراكه . لا يملك امامها الا أن ينحنى لسلطانها . لا تنتظر عليه حتى يناقش ويتقنع ، انما تطويه وتحويه فيطيع ويخضع .

هذا هو سر الاعجاز فى صليب القوة .

يحدثنا عنه شر الخطاة كيف كانوا ثم كيف أصبحوا . الذين كانوا فى ظلمة ثم ابصروا نور المسيح . والذين فاتهم أن يتلاقوا مع الرب المصلوب ، او فاتهم ان يلقوا بثقيل حملهم عند

قدميه ، فاتهم ركب الحياة ، وادركهم الفناء . فاتهم سبيل النجاة وادركهم العناء . فاتهم الخلاص واستمرواوا الشقاء . مساكين . (وكيف ننجو نحن ان اهملنا خلاصا هذا مقداره) .

يوسف الرامى ونيقوديموس .

شخصيتان انضجت المحنة ايمانهما . وبرزت بشجاعتهما الى مستوى الوجود الفعلى . بعد ان خانتهما طوال الشهور الاخيرة .

احدهما التمس التعليم وسعى الى لقاء الرب .. ولكن ليلا . جعل من ظلام الليل ستارا وقناعا . واشترط السرية والاختفاء شرطين لتلمذته للرب . هذا هو نيقوديموس .

ثانيهما هو احد المشيرين بين اليهود . لم نقرأ عنه انه اتصل بالرب فى نهار او فى ليل . فقط انه لم يكن موافقا لراى اليهود فيما انتهوا اليه بالحكم على الرب بالموت صلبا . انه يوسف الرامى .

وخرج الرجلان على تقاليد الشيوخ اليهود . ووقفا الى جانب الرب . ولكن متى ؟ بعد ان نكس الرأس وطلبا رسميا من بيلاطس جسد الرب ليتوليا عملية الدفن .

لابد لنا ان نشيد بموقفهما ، ونسجل لهما هذا العمل العظيم . لانهما كشفا عن تبعيتهما للرب فى الوقت الذى هرب اتباع الرب الحقيقيون . اى التلاميذ . انهما أعلنا عن هذه التبعية ، فى وقت كان يمكن ان يتعرض تابع المسيح للمطاردة ، خصوصا بعد ان مات الرب المسيح ميتة العار . ولم يكن يمنع ان يوقع بهما اشر انواع العقاب . ومع ذلك لم يتراجعا .

وثمة دافع فى منتهى الاهمية جعلهما يستهينان بكل مايمكن أن يتعرضا له .. هو أن جسد الانسان الذى يصلب بعد أن يموت يترك فى العراء طعاما للوحوش والطيور . فعز عليهما أن يكون لجسد الرب العزيز هذا المصير السيء .. ولعله المصير الذى حكم به على جسد اللصين .. من يدرى ؟

فبدافع من ايمانهما بالرب الذى صلب ومات ، واقتناعا منهما انه مات بحيلة ظالمة ، وعلى أساس من الاتهام الجائر . واذ ياسفان لتقصيرهما السابق ، كونهما لم يقفا بصراحة وشجاعة فى جانبه ، فانهما فى هذه المرة يقفان هذه الوقفة لعلها تكفر عن تخلفهما السابق . لذلك كان أن الحا فى طلب جسد يسوع . واجابهما بيلاطس الى طلبهما .

تفاعل الصليب العجيب فى حياة هذين الاثنين . ومن أجل الرب الذى يبدو الآن بلا حول ، وقف الرجلان وقفة غير وجلة ولا هيابة . وهان كل شيء فى أعينهما الا ان يشهدا للرب العظيم ، أو الذى كان عظيما ثم مات .

وأنزلوه .. وكفنوه .. ودفنوه :

(قدوس الله . قدوس القوى . قدوس الحى الذى لا يموت) .

هتف هذا الهتاف كل من نيقوديموس ويوسف الرامى . بمجرد أن اقتربا من الجسد المقدس ولمساه .

لكما المطوبى ايها الرجلان . القديسان . لأن لحما ودما لم يعلن لكما . لكن الآب الذى هو فى السماء هو الذى اعلن لكما هذا الاعلان العظيم . لأن الرب لا ينسى تعب المحبة .

لا توجد مكافاة اعظم من هذه المكافاة . الا وهى اعلان لاهوت ابن الله المصلوب . لأن الانسان الطبيعى لا يبغض اكثر من هاتين الحقيقتين .. وهما الله فى الجسد ، والاله المتانس على الصليب .. الانهما عنده طرفى الكماشة التى تمسك بالخطية والذاتية ، والمادية .. وهذه الأطراف الثلاثة ، هى التى تضيق بالله الذى يقترب اليها بالتجسد ، كما تضيق بالرب المصلوب الذى يحكم عليها معه بالصليب .

انزلوا الرب من على الصليب . واستقبل حجر السيدة العذراء جسد ابنها وبكرها البار القدوس . ووهبته كأم آخر ما تستطيع . ومن جانبها اخذت من النعمة والبركة اقصى ما تتسع له .. كما قالت فى تسبحتها (تبتهج روحى بالله مخلصى) . الا انها بالخلاص دفعت اكثر من جميع الناس . كما نقول فى صلاة الساعة التاسعة (عندما نظرت الوالدة الحمل والراعى مخلص العالم على الصليب معلقا ، قالت وهى باكية أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص وأما أحشائى فتلتهب عند نظرى الى صلبوتك الذى انت صابر عليه من أجل الكل يا ابنى ويا الهى)

اصاب كل من نيقوديموس ويوسف الرامى قسما من المسئولية .

تولى نيقوديموس شراء الاكفان والطيب والعطور . واربطة الراس واليدين والقدمين .

ثم لفوا جسد الرب بالأكفان .

حيثما بشر بالانجيل جاء ذكر مريم اخت لعازر لانها دهنت بالطيب الرب . واعتبر الرب عملها حسنا لأجل التكفين . ونفس

الذكر الحسن ، يتابع نيقوديموس ، لانه قام فعلا بكل تكاليف الكفن ومسئوليات الحنوط .

لو أن العمر امتد بيهوذا ، ورأى نيقوديموس يدفع دفعا سخيا من اجل تكفين الرب ، لصاح ثانية فى اعنف عنف (لماذا هذا الاتلاف) !.

فى نظر المنفصلين عن حياة ربنا يصير كل ما يبذل من اجل اسمه اتلافا وفناء . بينما يجد المغديون متعة ولذة ، واجدى انواع الاستثمار . ، حين يكتشفون للعطية سبيلا . فيبذلونها على مذبح محبة ابن الله ، وعلى أساس من هـذا الايمان واليقين ، اصبح العطاء غبطة ، والصليب رسالة ، والموت قيامة ، ولم يعد ما وهبه نيقوديموس للرب فى عملية التكفين ، نوعا من باقات الزهور والورود ، توضع على قبور الموتى ، ثم لا تلبث أن تذبل ، بالايمان فقدمت للرب الحى الى الأبد .

أما يوسف الرامى ..

فانه يعلم رقة الحالة المادية التى عاشتها العذراء ، وكل اتباع الرب . والآن بعد ان خلع قناع التستر والتخفى ، من على وجه تلمذته للرب ، أصبح مسئولا بأن يقدم للرب قبرا . او هكذا احس .

وقد كان يملك قبرا جديدا منحوتا فى الصخر ، فى بستان قريب من مكان الصليب .

لعله أعد هذا القبر لنفسه . لتكون له ذكرى ومفاخر ذوى القبور العظيمة . ومن يدرى فلعله ايضا أعد لافتة منحوتة كتب عليها هنا يرقد يوسف الرامى .. والذين ينزل يقينهم عن خلود السماء ، يتسلون بذكر فى ارض الفناء .

كل هذه الترتيبات ، ان كان لها ثمة وجود ، تلاشت امام حاجة الرب الى قبر . وما كان يحتفظ به لنفسه تخليدا لذكره ، وهبه للرب فى غير تردد . واثبتت الايام انه بهذا العطاء اصاب احسن الذكرى ، فى الارض وأمجد الميراث فى السماء . فهل كان يوسف يرى كل هذه المكافآت وهو يهب الرب قبرا جديدا ام انه أحب الرب ، ورغبة منه فى خدمته لم يعمل حسابا للمكافاة . اغلب الظن ان خدمة الرب فى ذاتها كانت بالنسبة ليوسف الرامى غاية ، اليها سعى ، وحسبه مكافاة ، ان الرب قبل عطيته . لذلك اجزل له الرب العطاء ، اضعاف ما كان ينتظر او يخطر له فى حساب .

دفنوا الرب العظيم باحتفال بسيط خلو من ابسط الشكليات . ثم وضعوا حجرا كبيرا وضخما على القبر . وخيم صمت رهيب على الاعداد القليلة المرتجفة التى حضرت هذه العملية . وجميعهم دفنوا وجوههم فى اكفهم ، وراحوا يبكون ويجهشون .

والآن ونحن فى طريق العودة من عالم الموتى والقبور ، نلتقى بالصليب المرتفع الشامخ ، رابضا فى مكانه ، كثيف الأغصان عميق الجذور . يلطخه الدم ، ويحاول الظلام ان يكتنفه ، فيشراب نافرا ، مصدرا للحياة والنور . مميزا من بين صلبان اللصوص وقطاع الطرق دعاة الاثم وعبيد الفجور .. اليه تنجذب

وبه نلتصق ، وعليه ننطرح .. فنتلامس مع المعجزة .. والموتى يقومون .

ولا شك انك الآن تقف أمام الصليب العجيب ، مشدوها منه مشدودا اليه . تسبح عيناك فى دمعهما ، وتسكب من ذات نفسك وذات قلبك وذات فكرك .. وانك لتسجد للرب بالروح والحق ..

... ولندعك كما أنت فى مقادس الرب .. لانقطع عليك خلوتك أو نعكر صفاء نفسك .. تمسك بمكانك ، وبمقامك الى أن يشرق عليك نور القيامة ..

والى أن نلقاك فى هذا المجد المجيد .. ادع لنا بميراث القديسين .. آمين .

***

صوم الاربعين المقدس ١٦٨٦ للشهداء ، ١٩٧٠ ميلادية

كنيسة السيدة العذراء والانبا انطونيوس بالاقصر

سلسلة كتب للشباب

+ المشروع المبارك الذى دبرت نعمة الله الاسهام فيه لاجل تأسيس مكتبة نافعة للشباب تعالج مشكلات العصر بأسلوب مسيحى ، وتدرس قضايا المجتمع والمعاناة فى الحياة الروحية بمنظار مسيحى سليم ، يظهر الكتاب منها كل شهرين .

+ صدر من هذا المشروع : كتاب « الشباب والجنس » للأستاذ سليمان نسيم والدكتور سمير نمر ، وكتاب « سر الحب » للأستاذ كمال حبيب .

+ واما الكتاب الثالث الذى سيظهر بمشيئة الله فى مطلع شهر مايو فهو للمربى الكبير الدكتور راغب عبد النور تحت عنوان : « نحو الطهارة فى حياة يوسف » .

+ والكتاب محاولة روحية حاول فيها المؤلف ان يعالج الموضوع بالأسلوب المسيحى وفى اطار الايمان ، مبينا ان امكانيات هذا الايمان أن يأتى بالمعجزات ، والطهارة هى معجزة المسيحية ستظل باقية شاهدة لعمل النعمة الى دهر الدهور .

ليبارك الرب هذا الجهد لمجد اسمه وخلاص انفس الشباب آمين .

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٦٥ لسنة ١٩٧٠

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون ٩٠٥٢٩٦